بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم

المضارع نموذجا

الدكتور
كمال عبد العزيز إبراهيم

الدار الثقافية للنشر

إبراهيم، كمال عبد العزيز.
بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم ـ المضارع نموذجًا.
كمال عبد العزيز إبراهيم ـ ط١ ـ القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٩.
٨٠ ص، ٢٤ سم
تدمك ٤ ـ ٢٧٤ ـ ٣٣٩ ـ ٩٧٧ ـ ٩٧٨
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٠٩/١٤٨٥٧
١ ـ القرآن ـ بلاغة
أ ـ بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم ـ المضارع نموذجًا.
٢٢٥

الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م

صندوق بريد ١٣٤ بانوراما ١١٨١١

تليفاكس ٢٤٠٢٠٥١٥ ـ ٢٤١٧٢٧٦٩ ـ ٢٢٧٥٩٥٠٢

Email: info@dar-althakafia.com

تقديم

قبل الشروع في هذا البحث يحسن إلقاء الضوء على عنوانه حتى تتضح صورته فالفرائد في اللغة: جمع فريد وفريدة. والفريد هو: الفرد الذي لا نظير له، وهو أيضا، الدر إذا نظم وفصل بغيره، والفريدة: الشذر الذي يفصل بين اللؤلؤ والذهب في العقد، وهي أيضا: الجوهرة النفيسة، ويقال: استفرد الغواص هذه الدرة: أي لم يجد معها أخرى، وتقول: فلان يفصل كلامه تفصيل الفريد وهو الدر الذي يفصل بين الذهب في القلادة المفصلة، فالدر فيها فريد والذهب مفرَّد[1].

- ومن المعنى اللغوي للفرائد نستخلص أنها: الشيء النفيس الذي لا نظير له سواء أكان ماديا كالذهب والدر، أو معنويا كالكلام الفريد المفصل.

- وهذا المعنى اللغوي لا يبعد كثيرا عن المعنى الاصطلاحي للفرائد كما وردت في كتب البلاغة والأدب والنقد[2].

- وأول من أورد مصطلح الفرائد ابن أبي الإصبع المصري (٥٨٥- ٦٥٤هـ) في كتابه (تحرير التحبير) تحت عنوان (باب الفرائد)[3] وذكر أن هذا الباب مختص بالفصاحة وحدد المصطلح بأنه (إتيان المتكلم بلفظة تتنزل من كلامه منزلة الفريدة من حب العقد تدل على عظم فصاحته وقوة عارضته وشدة عربيته حتى إن هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لعز على الفصحاء غرامتها) أي خسرانها وفقدانها.. ثم استشهد على ذلك بفرائد من شعر أبي نواس وأبي تمام والبحتري فمن ذلك قول أبي نواس :-

---

١) انظر مادة (فرد) في (لسان العرب لابن منظور) وأساس البلاغة للزمخشري، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، والمعجم الوسيط .. مجمع اللغة العربية

(٢) ورد الحديث عن الفرائد كمصطلح بلاغي في شرح الكافية البديعية - ٢٤٥، وخزانة الأدب - ٣٧٢، ومعترك الأقران - ٤٠٧/١، والإتقان - ٩٣/٢، وشرح عقود الجمان - ١٥٠، وأنوار الربيع - ٢٦٧/٥، ونفحات الأزهار - ٢٦٩، وتحرير التحبير - ٥٧٦، والمزهر- ١/ ٢٥١، وانظر في ذلك: معجم النقد العربي القديم - د. أحمد مطلوب- ١٦٠/٢ بغداد ١٩٨٩ م

(٣) انظر: تحرير التحبير لابن أبي الإصبع، تحقيق د. حفني شرف ص ٥٧٦،٥٧٨، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٣م

وكأن سُعْدى إذ تُوَدِّعُنا   وقد اشرأبَّ الدمعُ أنْ يَكِفا[1]

ويعلق ابن أبي الإصبع على ذلك بقوله:" إن لفظة اشرأب من الفرائد التي لا نظير لها في فصيح الكلام ولا يقع مثلها إلا على سبيل الندور".

– ثم استشهد من القرآن بآيات كثيرة مصدرا لذلك بأن ما جاء في الكتاب العزيز من ذلك غرائب يعز حصرها .

– ومما استشهد به لفظ (خائنة) من قوله تعالى ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ۝ ﴾ (غافر: ١٩) معلقا عليها بقوله (وهذه الفريدة في هذه الآية أعجب من كل ما تقدم؛ فإن لفظة (خائنة) سهلة مستعملة كثيرة الجريان على ألسن الناس لكن على انفرادها؛ فلما أضيفت إلى الأعين حصل لها من غرابة التركيب ما جعل لها في النفوس هذا الموقع العظيم بحيث لا يستطاع الإتيان بمثلها ولا يكاد يقع في شيء من فصيح الكلام شبهها وقد استمر ابن أبي الإصبع على هذا النهج وهو يستشهد بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (إذا ذكر الصالحون فحيَّ هلا بعمر) فقد أشار إلى أن لفظة (حيَّ هلا) من الفرائد العجيبة وفيها من الفصاحة ما يعجز عن مثله كل فصيح .

– ولا يخفى تأثر ابن أبي الإصبع هنا بنظرية النظم التي أرساها عبد القاهر الجرجاني الذي ينظر إلى الكلمة وحدها فلا يجد لها أي مزية ثم ينظر إليها وهي في النظم فيجدها قد اكتسبت من البلاغة والروعة حدا كبيرا .. ولكن يؤخذ على ابن أبي الإصبع تعميم الكلام والاحتكام إلى الذوق الشخصي دون بيان الأسرار البلاغية التي أكسبت الكلمة تفردها وقيمتها .. وهذا ما حاولت فعله في هذا البحث .

– وبمثل هذا الصنيع أثبت صفي الدين الحلي (٦٧٧ – ٧٥٠ هـ) بابا للفرائد في شرح الكافية البديعية[2] معرفا بها وممثلا لها بشواهد من القرآن الكريم ومن الشعر ..

(١) ديوان أبي نواس (الحسن بن هانئ) تحقيق وشرح : أحمد عبد المجيد الغزالي ص ٤٣٢، ط. دار الكتاب العربي . بيروت ١٩٨٤ واشرأب الدمع : ارتفع من شئونه ليسيل وينحدر على الخد ، يكفُ : مضارع وَكَفَ بمعني سال – وأصل اشرأب: مَدَّ عُنُقَهُ وارتفع كي ينظر. والمعنى أنه في لحظة الوداع ارتفع الدمع وسال على الخد.. ولعل السر في تفرد الفعل (اشرأب) هنا يرجع إلى تشخيصه وبعث الحياة والحركة فيه وجعله يحس ويتمنى – والمشبه به ورد في البيت الثاني هو :

رَشأٌ تَواصَيْنَ القِيانُ به   حتى عَقَدْنَ بأُذْنِه شَنَفا

(٢) انظر: شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، صفي الدين الحلي ص ٢٤٥، تحقيق د. نسيب نشاوي ، دمشق ١٩٨٣ م.

ومما استشهد به على ذلك الفعل المضارع (أهشُّ) في قوله تعالى (قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ..) (طه:١٨) فهو – كما قال – من الفرائد التي يعز على الفصحاء الإتيان بها في مكانها.

– وفي حديث السيوطي (ت ٩١١) عن الفرائد في كتابه (شرح عقود الجمان) نلاحظ أنه نسبها إلى نفسه ولم يشر إلى ابن أبي الإصبع أو إلى صفي الدين الحلي وزعم أن (الفرائد والتنكيت) من زياداته قائلا (وهذان النوعان من زياداتي وهما تختصان بالفصاحة دون البلاغة) وأورد الأمثلة التي مثل بها السابقون تقريبا .. ثم فرق بين الفرائد والتنكيت بأن الفريدة (لو سقطت لم يسد غيرها مسدها) أما التنكيت فإن اللفظ يمكن أن يسد غيره مسده، ولكنه أتى به لنكتة ترجح اختصاصه بالذكر مثل لفظ (الشِّعْرى) في قوله تعالى (وأنه هو رب الشعرى) (النجم: ٤٩) فقد ذكرت هنا دون سائر النجوم مع أن الله رب كل شيء، لأن من العرب من عبد الشعرى فأنزل الله ذلك ردا على من ادعى فيها الألوهية[1].

– لكني توقفت عند حديث السيوطي في (المزهر) عن (الفرائد في الشعر) لأن ما ذكره عنها هنا يتصل بسبب قوي مع بحثي عن (الفرائد الفذة)، وذلك لأن الفرائد في عرف البلاغيين – كما رأينا – تعني اللفظة الفصيحة التي تنزل من التركيب منزلة (الفريدة) من حب العقد بحيث لو سقطت لا يسد غيرها مسدها فألفاظ القرآن – بهذا المفهوم – كلها فرائد (يعز حصرها .. ولا تدخل تحت الحصر ... وهي لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه ...) كما ينص على ذلك السيوطي في أكثر من موضع وكما قرره معظم من سبقه أو لحقه من المفسرين والبلغاء.

ولكنه – وهو يتحدث عن (فرائد الشعر) كان يشير إلى أن هذه الفريدة أو تلك لم تأت في شعر ولا نثر إلا في بيت واحد هو كذا[2] ، ومعنى ذلك أنه يعني بالفريدة

(١) انظر: شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، السيوطي، ص ١٥٠، ط: الحلبي، مصر ، ١٩٣٩م.

(٢) انظر في ذلك (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) جلال الدين السيوطي (١/١٥١– ١٥٣) ، تحقيق وشرح محمد أحمد جاد المولى وآخرين ط عيسى الحلبي:مصر.. وقد أورد أمثلة لتلك الفرائد ومن ذلك مثلا لفظ (الخيطة) فقد نقل السيوطي عن الأصمعي أنها لم تأت في شعر ولا نثر غير بيت واحد هو قول أبي ذؤيب في رجل يشتار عسلا:

تَدَلَّى عليها بين سِبٍّ وخَيْطَةٍ   شديدُ الوَصاةِ نابِلٌ وابْنُ نابِلِ

(اللفظة التي وردت مرة واحدة ولم تتكرر) وهذا لعمري ما قصدته حين قيدت الفرائد في عنوان البحث بالفذة أي المتفردة في مكانتها وكفايتها فقد نظرت في القرآن الكريم فوجدت فيه ألفاظا لم ترد إلا مرة واحدة ولم تتكرر في أي موضع آخر . وذلك مثل ألفاظ (حيران - مسكوب - يتخبط - يتجرع - تزدري - أغطش - أفضى - ابلعي - اخلع - هيت - هاؤم ... الخ) وقد أحصيت هذه الألفاظ فوجدتها (٣٨٦) ستا وثمانين وثلاثمائة كلمة من مجموع ألفاظ القرآن الكريم وهذه الكلمات موزعة بين الأسماء والأفعال وأسماء الأفعال ... وعددها في الأسماء (٢٧٣) ثلاثة وسبعون ومئتا اسم وفي المضارع (٥٦) ستة وخمسون فعلا وفي الماضي (٤٦) ستة وأربعون فعلا وفي الأمر (٨) ثمانية أفعال وفي أسماء الأفعال (٣) ثلاثة أسماء فعل (انظر الملحق الخاص بذلك في نهاية البحث) .

الفرائد الفذة في القرآن إذن تعني تلك الكلمات التي اكتسبت صفة الفردية بداية لكونها كلمات قرآنية انتظمت في سلك النظم القرآني البديع وتعلقت بما قبلها وما بعدها تعلقا قويا بحيث لا يغني غيرها غناءها في موضعها وبحيث لو سقطت لعز على الفصحاء غرامتها كما يقول ابن أبي الإصبع ثم هي اكتسبت ثانيا صفة أخرى أكثر تخصيصا وتقييدا وهي كونها (فذة) أي متفردة لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة ولم تتكرر في أي سياق آخر رغم تشابه السياقات أحيانا.

- وقد حاولت في هذا البحث معرفة السر البلاغي في تفرد الأفعال المضارعة الفذة وذلك من خلال البحث في خصوصية السياق ومقتضيات المقام وكذلك من خلال خصوصية البنية الصوتية والصرفية للفعل فإذا وجدت تشابها في السياق أو المقام حاولت جهدي تلمس السر البلاغي في إيثار هذا الفعل المتفرد بالذكر في هذا السياق دون غيره، ومحاولة معرفة السبب في عدم تكراره في الموقف المماثل وقد استعنت في إيضاح ذلك بمعظم التفاسير وبالتأمل الذاتي المحصن بقدر ما من الموضوعية التي يقتضيها البحث العلمي والقرآن الكريم كنز أسرار لا ينفد وحين تتفتح للباحث المتأمل كوة النور فإنه يرى عالما من الإيحاءات وظلال المعاني التي تساعده في معرفة الأسرار البلاغية للقرآن الكريم .

* والسب: الحبل، والخيطة: الخيط يكون مع مشتار العسل، أو هي دُرَّاعة يلبسها - ومن ذلك أيضا لفظ (الأجنُّة) لجمع (الجنة) بمعنى البستان فهي لم ترد - حسب قوله - إلا في بيت واحد هو :- وترى الحَمام معانقا شرفاته .. يهدلن بين أجنة وحصاد.

- فالبحث - إذن - يسلط الأضواء على الفعل المضارع الفريد الفذ فيدرسه في سياقه ويتلمس بلاغة تفرده وعدم تكراره وأعترف بأن بعض الأفعال في هذا البحث كانت عَصِيَّةً أَبِيَّةً فلم تبح لي بسر تفردها رغم إحساسي الغامض بهذا السر وشوقي العارم لمعرفته، وحينذاك كنت أكتفي بالطواف حول حصن هذا الفعل المنيع ألتمس بلاغة سياقه ومقامه. لعله في المستقبل يبوح لي أو لغيري من الباحثين بهذا السر، وليعذرني القارئ في ذلك ، فحسبي أنني - فيما أعلم - أورد طريقا غير معهود ومجالا غير مسبوق.

- وأحب أن أؤكد هنا أن اختياري للمضارع نموذجا لهذه الدراسة إنما جاء لتحديد مجال البحث حتى لا يتسع وليس لخاصية معينة في المضارع الفذ ، فإن للفرائد الفذة - من الأسماء والأفعال الماضية و أفعال الأمر وأسماء الأفعال - بلاغتها وأسرارها التي تنتظر من يكشف عنها- ولهذا فإنني قد ألحقت بالبحث قوائم ببقية الكلمات الفريدة الفذة في القرآن الكريم. وهي تمثل لغيري من الباحثين مادة خصبة لمثل هذه الدراسات.

كما أود الإشارة هنا إلى أن منهج البحث في هذا الموضوع يختلف عن منهج غيره من البحث في الموضوعات الأخرى التي يلتزم فيها الباحث التقسيم والتسلسل المنطقي الذي يحفظ للبحث ترابطه ووحدته وتؤدي فيه المقدمات إلى النتائج ، وذلك لأن الأفعال - موضوع هذا البحث - لا ترابط بينها، وعوامل التفرد والتفرق فيها أغلب من عوامل التجمع ؛ بسبب كونها منثورةً في ثنايا مواقف وسياقات شتى.

وقد حاولت مرارا وضع كل مجموعة من الأفعال تحت عنوان واحد ، ولكني في كل مرة كنت أحس أن في هذا تكلفا وتعسفا، ولهذا آثرت الدخول مباشرة على الأفعال حسب ترتيب ورودها في سور القرآن الكريم بادئا بسورة البقرة حيث الفعل الأول الفذ فيها هو (يَنْعِقُ) وختمنا البحث بسورة العلق حيث الفعل الأخير الفذ وهو (لَنَسْفَعَنْ) .

والله المستعان.

كمال عبد العزيز إبراهيم

بندر سري بكاوان - بروناي دار السلام

تاريخ: ٧ ديسمبر ٢٠٠٩م.

الموافق: ١٩ من ذي الحجة ١٤٣٠ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) (يَنْعِقُ):

ورد هذا الفعل في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ البقرة: ١٧١.

– والسياق هو الحديث عن الكفار الذين يدعون إلى اتباع ما أنزل الله من الهدى ولكنهم يصرون على اتباع ما وجدوا عليه آباءهم من باطل.

– وظاهر الآية يطرح سؤالا مثيرا عبر عنه الشريف المرتضى بقوله :

(أي وجه لتشبيه الذين كفروا بالصالح بالغنم والكلام يدل على ذمهم ووصفهم بالغفلة وقلة التأمل والتمييز، والناعق بالغنم قد يكون مميزا متأملا محصلا؟)[1] وقد اختلف العلماء في الإجابة عن هذا السؤال وفي تحديد المشبه والمشبه به وأورد الشريف المرتضى خمسة أجوبة وأورد أبو حيان الأندلسي تسعة أجوبة[2] لا مجال لعرضها هنا ولكننا نرجح القول بتشبيه واعظ الذين كفروا الذي يدعوهم إلى الإيمان والطاعة بالراعي الذي ينعق بالبهائم وتشبيه الكفار بالبهائم ووجه الشبه كون الكفار والبهائم في عدم الفهم والاستجابة سواء إذ هما لا يستمعان إلا إلى أصداء النداء ودوي الصوت دون فهم وفي ذلك إشارة إلى غبائهم، كما أن فيه تعزية للرسول لعدم إيمانهم فما عليه إلا البلاغ.

– وقد جاء الفعل (ينعق) بالمضارع لاستحضار تلك الصورة الساخرة لهؤلاء المتصامين عن الحق المتعامين عن النور كي تبقى صورة متجددة زاجرة لكل من سلك هذا الطريق.

– ولم يرد هذا الفعل في القرآن إلا مرة واحدة مع وجود مواطن أخرى – في القرآن الكريم – مشابهة لهذا الموضع الذي يدعى فيه الكفار إلى الإيمان ولا يستجيبون. وربما كان ذلك لأن المقام هنا يقتضي استعمال مادة (نعق) بذاتها إذ لا يغني غناءها (يصوت – أو – ينادي – أو – يصيح)- لأن صورة الكفار هنا هي صورة البهائم

---

(١) أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) للشريف المرتضى ٢١٥/١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ط ١ الحلبي . مصر ١٩٥٤.

(٢) تفسير البحر المحيط . محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي المتوفى – ٧٥٤هـ ٤٨١/١ وما بعدها ط٢ – دار الفكر – بيروت ١٩٨٣م

السالمة الهائمة في صحراء واسعة فهي تحتاج من راعيها إلى أن يرفع صوته بالنعيق ليناديها. ومن معاني (النعيق): (التتابع في التصويت على البهائم للزجر)[1].

– ومن يتأمل مخارج حروف تلك المادة وصفاتها يجد أنها تساعد على انطلاق الصوت عاليا مدويا (فالنون: حرف أنفي مجهور كلي، والعين حرف حلقي احتكاكي مجهور ، والقاف: لهوي انفجاري شديد)[2] . وتلك المخارج – مجتمعة – تناسب التعبير عن ارتفاع الصوت بالفعل (ينعق) كما يفعل الراعي بالغنم . وتكون المفارقة التصويرية هنا أنه بالرغم من هذا الصوت العالي فإن الكفار لا يفهمون منه إلا كما تفهم الماشية من الدوي. وذلك لأنهم (صم بكم عمي فهم لا يعقلون).

(٢) (يَؤُودُهُ):

ورد هذا الفعل في قوله تعالى ﴿ ... كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ البقرة : ٢٥٥.

– وقد ورد الفعل هنا منفيا بلا في سياق آية الكرسي الشهيرة التي تتضمن بعض صفات الله سبحانه وتعالى ، فهو الواحد الحي القيوم العليم بالخفايا واسع السلطان (وسع كرسيه السموات والأرض) وهو الحافظ لهما من دون تعب (ولا يؤوده حفظهما)..

فالتعبير بالفعل المنفي هنا (كناية عن قدرته سبحانه ، ولكنه يجيء في هذه الصورة المحسوسة، صورة انعدام الجهد والكلال حتى تكون أوقع وأعمق)[3]

– أما المادة اللغوية للفعل (يؤوده) فهي من (أود) تقول (آده الحمل: أثقله وآد العود : اعتمد عليه فثناه ، ومن المجاز : آدني هذا الأمر : بلغ مني المجهود والمشقة)[4]

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي البغدادي المتوفي (١٢٧٠)هـ ٤١/٢ نسخة مصورة في (ملتان – باكستان) عن ط دار الفكر – بيروت.

(٢) الأصوات العربية. د . كمال بشر ص ١٣٦ ط . مكتبة الشباب ، القاهرة/ ١٩٨٧م.

(٣) في ظلال القرآن . سيد قطب ١/ ٢٩٠ . ط ١١ دار الشروق – مصر ١٩٨٥م.

(٤) المفردات في غريب القرآن . الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المتوفي سنة ٥٠٢ هـ مادة (أود) تحقيق: محمد سيد كيلاني نسخة مصورة في (كراتشي – باكستان) وانظر كذلك: أساس البلاغة. الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمر المتوفي ٥٣٨هـ ط : دار الفكر . بيروت . ١٩٨٩م.

ومعنى لا يؤوده: (أي لا يثقله. مأخوذ من الأود بمعنى الاعوجاج لأن الثقيل يميل ما تحته)[1] وإننا – ونحن ننطق بالفعل يؤوده – نحس بالإجهاد؛ إذ يأتي الفعل بصورته تلك – على النفس كله؛ بسبب هذا المد الطويل بالواو المسبوقة بالهمزة المضمومة والمتبوعة بضمتين الثانية منهما على الهاء التي (يمر الهواء معها خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين بالحنجرة)[2] والتعبير بالنفي ينزه الله – سبحانه وتعالى – عن هذا الثقل وذلك الإجهاد البشري ويثبت له القدرة القادرة على حفظ ملك بهذا الاتساع الهائل بما يحويه من عوالم وأكوان . ولا تحسب أن فعلا آخر غير هذا الفعل يمكن أن يؤدي هذا المعنى الجليل ومن ثم ناسب مجيئه وتفرُّده في هذا المقام و لم يتكرر وروده في مواقف أخرى لأن لكل سياق ألفاظه المناسبة (فهناك في الكلام ألفاظ متقاربة في المعاني، يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة المقصود ولكن المتعمق في الأمر يرى أن لكل لفظة خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها وإن اشتركت في بعضها)[3]

(٣) (يَتَسَنَّهْ):

ورد هذا الفعل في قوله تعالى﴿ .. قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ... ﴿٢٥٩﴾ ﴾ البقرة : ٢٥٩.

– والسياق هو حديث القرآن الكريم عن القدرة الإلهية على الإحياء والإماتة والبعث وقد سبقت الآية بحجاج إبراهيم عليه السلام مع النمرود (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ... الخ) وأعقبت بتجربة عملية للبعث (... رب أرني كيف تحيي الموتى ...) وفي الآية التي نحن بصددها قصة رجل استبعد قدرة الله على البعث فأماته الله مائة عام ثم بعثه. ثم عرض عليه قرائن القدرة الإلهية وأدلة البعث شاخصة أمامه فهذا طعامه وشرابه (لم يتسنه) أي لم يتغير رغم مرور السنين المتطاولة. وهذا حماره ... الخ.

---

(١) روح المعاني : ٣/ ١٠.

(٢) علم اللغة : د. محمود السعران ص ١٧٨ ط . دار الفكر – مصر ١٩٩٢م.

(٣) رسالة بيان إعجاز القرآن للخطابي . ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٢٩ تحقيق : محمد خلف الله . ومحمد زغلول سلام ط : دار المعارف ـــ مصر . (بتصرف يسير).

- والفعل (يتسنه) مشتق من (ٱلسَّنَةُ) لأن التسنه (*عبارة مضي السنين فيكون عدم التسنه كناية عن بقائه على حاله غضا طريا غير متكرج*)[1] وفي ذلك دليل على أن من حفظ الطعام والشراب دون تغيير طوال هذه السنين قادر على البعث.

- وقد جاء الفعل المضارع المنفي (لم يتسنه) هنا متفردا لأنه لا توجد كلمة تنفي أثر السنين الطوال على الطعام والشراب غير تلك الكلمة التي اشتقت حروفها من حروف السنين. إن كلمات أخرى مثل (لم يتغير - لم يتعفن - لم يتبدل) لا تفي بالغرض وفاءها، وأحسب أن الفعل لم يتكرر وروده في القرآن بلفظه؛ لأن الحاجة إليه لم تتكرر في مواقع أخرى. وعلى سبيل المثال: فإن فعلا منفيا آخر هو(لم يتغير) حينما ورد في وصف نعيم الجنة في قوله تعالى ﴿ ... وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ ... ۝ ﴾ (محمد : ١٥) قصد به نفي جميع أوجه الفساد التي يمكن أن تغير طعم اللبن، ولكنه ليس معنيا بإبراز قدم العهد ومرور السنين على اللبن كالفعل (لم يتسنه) لأن السياق مختلف. ولأنه في الجنة ينتفي الزمان فلا يوم ولا شهر ولا سنة.

(٤-٥) (تُغْمِضُوا - يَتَخَبَّطُ) :

ورد هذان الفعلان في قوله تعالى في آيتين متتاليتين هما:

(أ) (.... ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه...) البقرة : ٢٧٦

(ب) (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس)البقرة : ٢٧٥.

والسياق هو حديث القرآن عن التكافل الاجتماعي والنظام الاقتصادي المنشود في المجتمع المسلم ، فيحثُّ على الزكاة والصدقة ويحارب الربا ويثبت أركان البيع الحلال وينتهي بالحديث عن الديون وضماناتها (اقرأ الآيات (٢٦١ - ٢٨٤)

والفعل الأول (تُغمِضُوا) يرد في مقام الحث على تخير ما ننفقه من أطيب مال وأفضل كسب؛ لأن النفس الإنسانية مجبولة على البخل واختصاص النفس بالطيب وإعطاء مالا قيمة له للغير. ومن ثم فإن الله ينهانا عن قصد الخبيث من المال أو الكسب للتصدق منه؛ لأن هذا الخبيث نفسه لن نقبله في حالة عرضه علينا شراء أو هدية - إلا

(١) روح المعاني : ٢٢/٣

أن نتسامح أو نتساهل في قبوله، وقد عبر أبو حيان عن ذلك بقوله (ولستم بآخذيه لو وجدتموه في السوق يباع إلا أن يهضم لكم من ثمنه، أو ولستم بآخذيه لو أهدى لكم إلا أن تغمضوا أي تستحوا من المهدى أن تقبلوا منه مالا حاجة لكم به ولا قدر له في نفسه)[1]

- والتعبير بهذا الفعل إما أن يكون كناية عن المسامحة والتساهل، أو استعارة تصريحية (شبه التجاوز عن الشيء الجدير بالمؤاخذة بغضّ العين عما يتفادى المرء رؤيته مما يكره [2] ويضيف الألوسي إلى بلاغة السياق أن مآل القول يقود إلى استفهام إنكاري تقديره: أمِنْه تنفقون؟[3]

- إن الإغماض في اللغة غض البصر وإطباق الجفن و(تغمضوا) أصله (توغمضوا) فحذفت الهمزة للتسهيل والتخفيف وأظن أن هذا التسهيل في النطق يناسب التساهل المعنوي الملحوظ في السياق وإذن فإن أيا من الأفعال البديلة لن يكون أبلغ في التعبير عن هذا التساهل وقبول الشيء على كره له من هذا التعبير الحسي بغمض العين.

- وقد اكتسب الفعل - إلى جانب الدلالة البلاغية - قيمة التفرد الذي اكتسب من خلال القرآن ظلالا وإيحاءات أضفت عليه رونقا يندر وجوده في المتعارف عليه من ألفاظ العرب وتراكيبهم، لأن ألفاظ القرآن عامة والمتفرد منها خاصة هي كما يقول السيوطي: (لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه وما عداها من الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو - بالإضافة إليها - كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن إلى لبوب الحنطة)[4]

- أما الفعل الثاني (يَتَخَبَّطُ) فإنه يرد في مقام محاربة الربا والتحذير من عواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة والدلالة المعجمية للفعل تفيد بأن (الخبط: الضرب على غير استواء كخبط البعير الأرض بيده والرجل الشجر بعصاه)[5] ومنه خبط عشواء*[6]،

(١) البحر المحيط : ٣١٨/٢

(٢) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، محمود صافي ٥٩/٣ ط١ - دار الرشيد - دمشق : ١٩٩١نسخة مصورة في إيران.

(٣) روح المعاني :٣٩/٣

(٤) المزهر في علوم القرآن وأنواعها . السيوطي ٢٠١/١

(٥) المفردات في غريب القرآن مادة : خبط .

(٦) العشواء: الناقة التي في بصرها ضعف فإذا مشت تضرب بيدها الأرض من غير اتساق ولا تتوقى شيئا.

وقد اختلف المفسرون في توقيت هذا التخبط؛ أفي الآخرة حين يقوم الناس لرب العالمين فيخرجون من الأجداث سراعا (ما عدا آكلي الربا فإن قيامهم متعثر، ينهضون ويسقطون كالمصروعين)[1] أم في الدنيا حيث (لا يقومون إلى تجارة الربا إلا بحرص وجشع كقيام المتخبط بالجن تستفزه الرغبة حتى يضطرب)[2] وأياما كان التوقيت فإن تصوير المرابي بهذه الصورة المشينة- صورة من مسَّه الجن فأصيب بالخبال وعدم الاتزان – تؤدي دورا مهما في التأثير الديني للتنفير من الربا . وصياغة الفعل على (يتفعّل) بالتضعيف يوحي بالحركة المضاعفة ويطيل مدى التخبط ؛ لأنه تكرار للصوت يستغرق زمنا أطول فإذا تأملنا حروف (خبط) نجد أن :

الخاء: تخرج من أقصى الحنك وهي صوت احتكاكي مهموس غير مفخَّم.

والباء: تخرج من الشفتين وهي صوت انفجاري شديد مجهور غير مفخم.

والطاء: تخرج من الأسنان واللثة وهي صوت انفجاري شديد مهموس مفخم.

ونحن هنا أمام تضارب في المخارج من أقصى الحنك في الخلف إلى الشفتين في الأمام ثم الارتداد إلى الأسنان واللثة. ونحن كذلك أمام تنوع في صفات الأصوات ما بين الهمس والجهر والتفخيم وما بين الانفجاري الشديد والاحتكاكي الرخو.

ولعل من اليسير أن نلحظ في هذا التضارب صورة المتخبط الذي لا تتسق حركته ولا تنتظم مشيته بل يقوم متخبِّطًا على غير هدى.

ولعل ذلك يفسر تفرد الفعل لأداء هذا الموقف وإيثاره على ما سواه وهو متفرد في القرآن كله لعدم تكرار التحذير من الربا بهذه الصورة المتحركة.

(٦) (تَدَّخِرُونَ):

ورد في قوله تعالى ﴿ ... وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ... ﴾ آل عمران : ٤٩.

- والسياق هو حديث القرآن عن السيدة مريم وبشارة الله لها بعيسى عليه والسلام وما حمله من معجزات إلى بني إسرائيل منها الخلق والإبراء وإحياء الموتى والإنباء

(١) الكشاف: عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" الزمخشري ١/ ٣٢٠ " ط ١ مكتب : الإعلام الإسلامي - قم - إيران.

(٢) تفسير النهر الماد من البحر . أبو حيان الأندلسي ٢/ ٣٣٢، هامش على البحر المحيط ط دار الفكر - بيروت ١٩٨٢م.

بالغيب (الآيات/ ٤٥-٥٠) ويأتي الفعل (تدخرون) معبرا عن المعجزة الرابعة وهي إنباؤهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ، وهو عليه السلام - وإن كان قد أُعطي معجزة الإنباء بالغيب عموما - إلا أن هذين الأمرين خُصّا بالذكر هنا- كما يقول الألوسي - لأن غالب سعي الإنسان وصرف ذهنه لتحصيل الأكل الذي به قوامه والادخار الذي تطمئن به أكثر القلوب وتسكن معه غالب النفوس[1]

- وقد تفرد (تدخرون) بالذكر هنا وفي القرآن كله لأن المقام يقتضيه ولا يغني غيره من مثل (توفرون - تقتصدون) غناءه فيما نظن ، لأن معناه مأخوذ من : (ادخرته: إذا أعددته للعقبى)[2] وهذا المعنى أشمل من التوفير والاقتصاد؛ إذ ليس شرطا فيهما أن يكونا للعقبى لأن (وفَّره توفيرا : كثَّره وأكمله وجعله وافرا والاقتصاد: ضد الإفراط)[3] فالفعل (تدخرون) أدق في أداء المعنى.

(٧) (تَعُولُوا) :

ورد هذا الفعل منفيا في قوله تعالى ﴿ ... فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ النساء : ٣

- والسياق هو التشريع الإسلامي للأسرة والمجتمع ويشمل ذلك أمورا اجتماعية مهمة مثل صلة الأرحام والوصاية على اليتامى والتعدد والميراث وما يحل وما يحرم من النساء الخ) الآيات ١- ٢٦.

وقد تفرد هذا الفعل في القرآن ؛ لأن الحديث عن إباحة التعدد وشروطه لم يرد الأمرة واحدة وانفرد الفعل (تعولوا) بالأداء في هذا الموقع دون غيره من أفعال مثل (ألا تظلموا - ألا تجوروا) لأنها لا تتسع للمقاصد والأغراض التي يريدها القرآن هنا وذلك لأن التعبير بجملة (ذلك أدنى ألا تعولوا) يتضمن:

أولا : عدم الجور أو الظلم الذي يمكن أن يلحق بعض الزوجات - في حالة التعدد - بسبب توزع القلب وتشتت العاطفة لأن من معاني العول: الميل ، يقال : عال الحاكم في حكمه إذا جار، وميزان فلان عائل أي مائل، والعول في الفريضة مجاوزة حد السهام المفروضة[4]

(١) روح المعاني ٣/ ١٧٠.

(٢) المفردات في غريب القرآن (دخر).

(٣) القاموس المحيط (وفر) و(قصد).

(٤) روح المعاني : الألوسي ٤/ ١٩٧.

ثانـيا: الإقلال من كثرة العيال حتى يتمكن الزوج من رعايتهم ، لأن عال الرجل يعول ، تعني : كثرة عياله.

ثالثا: ينـتج عــن كــثرة العيال المزيد من النفقات ؛ فربما لجأ إلى الطرق المحرمة في تحصـيلها فهو بالاقتصار على واحدة يبتعد عن الفقر وعن الجور في آن واحد والتعبير بـ (ألا تعولوا) تعبير عن المسبَّب بالسبب؛ لأن كثرة العيال تسبب العيلة والفقر الذي ربما بسببه يرتكب العول بمعنى الميل عن الصواب والرزق الحلال.

(٨) (يُبَطِّئَنَّ) :

ورد في قولـه تعـالى﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ ﴾ النساء:٧٢.

- والسياق هو آيات القتال الواردة في سورة النساء (٧١-٨٤)

وفي هذه الآية يسلط القرآن الضوء على نفر من المتخاذلين في صفوف المسلمين إذا دعـوا إلى القتال تباطأوا و لم ينفروا وقعدوا ينتظرون النتيجة فإذا أصيب الجيش المسلم بالقـتل أو بالهزيمة فرحوا واعتبروا تخاذلهم من ذلك نعمة وإذا انتصر المسلمون طمعوا في الغنائم...

- والفعـل (ليبطـئن) مؤكد باللام والنون الثقيلة، وهو مسبوق كذلك بمؤكدات كـثيرة وفي ذلـك مـا يشير إلى تعمدهم إشاعة روح الكسل والانهزام بين صفوف المسلمين، وقد لاحظ سيد قطب السرَّ في تفرد هذا الفعل (ليبطئن) بأداء هذا المعنى حين بـين ما في تلك اللفظة من ثقل وتعثر؛ فاللسان يتعثر من حروفها وجرسها حتى يأتي على آخرها وهو يشدها شدا، وفي ذلك تصوير للحركة النفسية المصاحبة لهؤلاء واعتبر ذلك من بدائع التصوير القرآني الذي يرسم حالة كاملة بلفظ واحد[1].

(٩) (يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ) :

ورد في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ النساء: ٨٣.

---

(١) في ظلال القرآن ٢/٧٠٥ وللمزيد في فهم العلاقة بين جرس الألفاظ ومعانيها انظر فصل: (التناسق الفني) في كتاب (التصوير الفني في القرآن) لسيد قطب أيضا. دار الشروق.

- وما زال السياق هو آيات القتال وإعداد المؤمنين وتنظيم صفوفهم والتحذير مما يفرق جمعهم، ففي أوقات الحروب تكثر الإشاعات، وكان في المؤمنين - كما في كل تجمـع - طائفة لا تقدر المسئولية حق قدرها، ولا تهتم بتأثير الكلمة في نفوس الجند إذ إن الجندي في الميدان مستعد لتصديق ما يسمعه، سواء أكان ما يسمعه بشارة بالأمن واقتراب النصر أو نذيراً بالخوف والانتكاس، إن كلا الأمرين ضار بالجيش المسلم لأن الخـبر الأول يورث الاطمئنان والاسترخاء وعدم الجدية، والخبر الثاني يربك الصفوف ويبث اليأس.

ومـن هنا جاء القرآن يوصي أتباعه بألا يستسلموا للشائعات وبأن الأجدر إذا سمع الجـندي شيئا، أن يكتمه ولا يذيعه ، بل يخبر به الرسول أو القائد فعندهما القدرة على تحليل الأخبار واستنباط الحق منها والزائف.

- والاستنباط في الأصل: استخراج الشيء من مأخذه كالماء من البئر والجوهر من المعـدن ومن مجازه: استنبط معنى حسناً ورأيا صائباً وعلى هذا ورد في القرآن الكريم ﴿ لعلمه الذين يستنبطونه منهم... ﴾

- ففـي الفعل استعارة مكنية تبعية حيث شبه ما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والآراء الصحيحة في المعضلات بالماء المستخرج من البئر بجامع الاستنباط في كل مـنهما ثم حذف المشبه به ودل عليه بشيء من لوازمه وهو الاستنباط ويجوز أن تكون تصـريحية تبعية حيث شبه استنباط الفهم والحكمة باستنباط الماء من البئر بجامع المهارة والإتقـان في كـل ثم حذف المشبه وادعى أنه من أفراد المشبه به، واستعير الاستنباط لدقائق الفهم ثم اشتق من الاستنباط (يستنبط) على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية.

ومـن الملامح البلاغية أيضاً أنه كما يحتاج استنباط الماء من البئر إلى جهد عضلي وقـوة بدنـية وتحـيّن لأوقات صفاء الماء لاستخراجه رائقاً نظيفا، فكذلك الاستنباط العقلي.

- ومما يسترعي النظر أيضا أن لفظ (يستنبطونه) يحتاج نطقه إلى وقت طويل وجهد صوتي بسبب تباعد حروفه وما فيه من مد بالواو واتصال بالهاء في آخره.و ذلك يوحي أيضا بذلك الجهد وبتلك المشقة في استنباط الرأي الصحيح المفيد ولعل تلك اللمحات البلاغـية تفسـر لنا جانبا من السر في تفرد الفعل بأداء تلك المعاني كما أنه تفرد في القرآن كله؛ لأن المقام لم يتكرر.

- وبقي أن نشير إلى أن في الآية فعلاً فريداً آخر هو الفعل الماضي (أذاعوا به) إذ لم يتكرر وروده في القرآن الكريم... وهو- في موضعه - أبلغ من مثل (تحدثوا به) لأن الإذاعة تستلزم نشر الخبر وإعلانه أبعد من نطاق المتكلم، أما (تحدثوا به) فربما كان حديثاً خافتا أو نجوى بين اثنين وهذا لا يحقق الانتشار والذيوع المؤاخذ عليهما في الآية الكريمة.

(١٠) (فَلَيُبَتِّكُنَّ):

ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ... ﴾النساء:١١٩.

والسياق هو التحذير من الشيطان وأفاعيله(١١٧-١٢١) فقد أقسم الشيطان بعد ما لعنه الله على خمسة أشياء يفعلها بالعباد وهي:

١) تجنيد فريق من العباد ليكونوا من أتباعه (لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا)
٢) إضلالهم وصرفهم عن طريق الهدى والاستقامة (ولأضلنهم).
٣) إطلاق الأماني الكاذبة والوعود الزائفة (ولأمنّينهم).
٤) أمرهم بتحريم ما أحل الله واتباع شعائر باطله لا تمت إلى الإسلام بصلة كشق أو تقطيع أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وتحريم ركوبها وسائر الانتفاع بها(فليبتكن...).
٥) أمرهم بتغيير خلق الله صورة أو صفة كالوشم والخصاء واللواط وتغيير فطرة الله التي هي الإسلام

والفعل(ليبتكن) مصوغ من البتك وهو شق الأذن أو قطعها. وقد جاء بلام القسم وأكد بالنون الثقيلة وبتضعيف العين وهو يدل بصورته تلك على إصرار الشيطان على تنفيذ ما أقسم عليه ويرسم أمام المسلم صورة ذلك الإصرار لعله ينتبه إلى ألاعيب الشيطان ويحذر من غوايته فلا يتخذه وليا { ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا} ولم يقسم الشيطان على الأمر بتبتيك آذان الأنعام إلا في هذا الموضع.

(١١) (يَتِيهُونَ):

ورد هذا الفعل في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ المائدة: ٢٦.

- والسياق هو جانب من قصة بني إسرائيل مع موسى عليه السلام حين دعاهم إلى قتال الجبارين في الأرض المقدسة فخذلوه وقالوا بوقاحة (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ومن ثم استجاب الله لدعاء موسى أن يفرق بينه وبينهم فكتب عليهم التية والشتات أربعين سنة، وتصف كتب التفاسير[1] صورة هذا التيه بأنهم كانوا يسيرون الليل كله في مفازة عرضها ستة فراسخ وطولها ثلاثون فإذا أصبحوا وجدوا أنفسهم في الموضع الذي ابتدأوا فيه، وكذلك يفعلون بالنهار، فكأنهم كما يقول الألوسي[٢] عوقبوا بما يشبه القعود حين قالوا: { إنا هاهنا قاعدون}.

- والفعل(يتيهون) معبر بإيقاعه البطيء الممدود بالياء والواو- عن طول المدة التي تاهوا فيها.

- كما إن مادة (ت و هـ) أو (ت ي هـ) تعبر - بمخارج حروفها وصفاتها عن الحيرة والتشتت! حيث ترتد أصواتها من الأسنان إلى الشفتين ثم إلى الحنجرة، ومن الإنفجار الهامس إلى الجهر الكلي ثم إلى الهامس[٣] مما لا يتوفر مع فعل آخر، والعرب تعبر بمادة هذا الفعل عن الحيرة والضلال لدى شخص ما فتشتمه قائله: (يا متوه، وما بال ذلك المتوه يفعل كذا)[٤] وقد فصلت جملة(يتيهون في الأرض) عن الجملة السابقة بسبب كونها استئنافية بيانية، فلعل في هذا الفصل إشارة أيضا إلى ذلك الشتات والانفصال عن موسى وأخيه عندما استجاب الله لدعائه قائلا: {رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين}.

(١) انظر في ذلك: البيضاوي ١٠٧/٢ والكشاف ٦٢٢/١ والبحر المحيط ٤٥٨/٣ .
(٢) روح المعاني ١٠٩/٦.
(٣) التاء: أسنانية لثوية وهي صوت انفجاري مهموس. والواو: شفوية ، والياء: من وسط الحنك وكلاهما صوت مجهور كلي، والهاء: حنجرية احتكاكية رخوة مهموسة(الأصوات العربية : ١٣٦) .
(٤) أساس البلاغة (توه).

(١٢) (يَبْحَثُ) :

ورد في قوله تعالى:﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾ المائدة: ٣١.

- والسياق هو قصة ولدي آدم(قابيل وهابيل) حين قتل قابيل أخاه هابيل ولم يدر كيف يواري جثته (فبعث الله غرابين قتل أحدهما الآخر ثم حفر له بمنقاره ثم دفعه في الحفرة ثم بحث عليه برجليه حتى واراه).[١]

- والمتأمل في الدلالة اللغوية للفعل (يبحث) يجد أن البحث في الأرض يعني: نبش التراب وإثارته، ويقال أيضا: بحثت الناقة الأرض برجليها في السير: إذا شددت الوطء ويستعمل الفعل كذلك في الكشف والطلب، يقال: بحثت عن الأمر وبحثت كذا. ولعلماء اللغة محاولات طيبة في الربط بين الألفاظ ومعانيها سواء بمحاكاة أصواتها أصوات المدلول مثل: قعقع: لصوت السيف، أو بنوع من ترتيب حروف اللفظ ترتيبا خاصا كما وضحه ابن جني ومثل له بالفعل (بحث) إذ يقول [إنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها، ترتيبها وتقديم ما يضاهي أول الحديث وتأخير ما يضاهي آخره وتوسيط ما يضاهي أوسطه سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب، وذلك كقولهم (بحث) فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصحلها[٢] تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ونحوهما: إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث والبث في التراب][٣] وعلى هذا فإن اختيار الفعل (يبحث) في الآية الكريمة اختيار له دلالته لأن الحفر في التراب يحتاج إلى ما يشبه خفقة الكف ومخلب الأسد ونفث التراب وبثه بعيدا وهو أمر مشاهد في دنيا الناس إذ يستعملون من أدوات الحفر ما يشبه ذلك.

- وفي خلال السياق تتجلى بلاغة القرآن في كل حرف و في كل كلمة حتى يتكوّن هذا النظم البديع إذ تبدأ الآية بالفعل الماضي المسبوق بفاء العطف الدالة على

---

(١) روح المعاني :٦/١١٦.

(٢) الصحل : خشونة في الصدر وانشقاق في الصوت من غير أن يستقيم (القاموس المحيط: صحل).

(٣) الخصائص : ابن جني ٢/١٦٢-١٦٣ وانظر كذلك: دور الكلمة في اللغة ستيفن أولمان، ترجمة د. كمال بشر صـ ٨٠ ط: مكتبة الشباب ، مصر.

الترتيب والتعقيب (فبعث) وهي بذلك تضع حدا لتلك الأقاويل التي أوردها المفسرون ويرفضها المنطق والعقل السليم، فهل يعقل ما قاله الآلوسي بأن قابيل بعد أن قتل أخاه ولم يدر ما يفعل بجثته (ضمه إليه حتى أروح[١] وعكفت عليه الطيور والسباع تنتظر حتى يرمى به فيأكله)[٢].

وهل نصدق أبا حيان في قوله (إنه تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى أروح أو أنه حمله مائة سنة)[٣].

إن الفاء في (فبعث) تنفي كل هذه الأقوال، وإن شئت فاقرأ تلك الآية متصلة بما قبلها فسوف يتبين لك تراسل الأحداث وتعاقبها(فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين، فبعث الله غرابا..) والتعبير بلفظ (بعث) يشعرنا بأن الغراب كأنه بعث من العدم وبأن الله قيضه لهذه المهمة والفعل بذلك يعطي دلالة أوقع من(أرسل) لأن الإرسال لا يكون إلا برسالة أو ما يجري مجراها.

- ولفظ الجلالة(الله) للتعظيم وهو واجب الذكر لأنه الأصل ولا مقتضى للحذف لعدم القرينة، وتنكير (غرابا) للتحقير من شأنه ويناسب هذا حسرته وندمه حين عجز إدراكه وعقله عن حل مشكلة دفن أخيه بينما هذا الطائر النكرة الذي لا يعقل يعرف ذلك وكونه غرابا دون غيره من سائر الطيور أو الحيوان لكونه رمزا للتشاؤم ونذيرا للبين والاغتراب وذلك مما يُضفي على الموقف ما يناسبه من أجواء الحزن والألم ، والنداء في (يا ويلتا) يوحي بالتعجب والحسرة فكأنه ينادي الويل والهلاك بأن يأتيا إليه فهو لا يستحق الحياة حين قصر فهمه عن إدراك هذا الأمر.

- والاستفهام في (أعجزت) للإنكار على نفسه هذا العجز.

- والتعبير عن الجثمان بالسوأة في (سوأة أخي)، لأن السوأة أهم ما يستر من الجسم: (مجاز مرسل علاقته الجزئية) أو لأن جسم الميت كله سوأة تسوء الناظر إليها.

- ولقد كانت قصة قابيل وهابيل ممهدا لإقرار تشريعات إلهية تضمن سلامة النفس البشرية من أي اعتداء، وهي تشريعات قد تبدو متشددة في ظاهرها ولكن الهدف

---

(١) يقال أروح اللحم وغيره: تغير ريحه (أساس البلاغة : روح).

(٢) روح المعاني ٦/١١٦.

(٣) البحر المحيط: ٣/٤٦٥.

الأسمى منها منع الجريمة، فإذا تجاوزها أحد ووقع منه اعتداء على الغير، فالقصاص هو الجزاء العادل الذي يطمئن المجتمع على حياته وسلامته. ولذلك فإن السياق ممتد إلى أن نصل إلى الفعل التالي في هذه المنظومة وهو:

(١٣) (أو يُنفَوْا من الأرض) :

الوارد في آية حد الحرابة وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ... ﴿٣٣﴾ ﴾ المائدة: ٣٣.

– فقد بينت الآية الكريمة عقوبة قطاع الطرق والخارجين على إجماع الأمة والساعين في الأرض فسادا بهذا الأسلوب التصويري الحركي وبالأفعال المضارعة المضعفة المفيدة للتجدد والكثرة، وذلك لتحقيق الردع المطلوب لاستتباب أمن المجتمع وسلامته.

– والفعل المضارع (أو ينفوا من الأرض) يمثل أخف العقوبات الأربع ومن ثم كان ترتيبه الأخير ولعل هذا هو السر في تفرده بأداء العقوبة الأخف في حد الحرابة بالإضافة إلى تفرده في القرآن كله لعدم تكرار الموقف والنفي قد يكون بالإبعاد والإخراج من الأرض التي حارب فيها إذا كانت (أل) للعهد، وقد يكون بمطاردته وطلبه وإزعاجه وهو هارب فزع إلى أن يخرج من أرض الإسلام وذلك إذا كانت (أل) للجنس[1] والعرب قد تستعمل النفي للتعبير عن الحبس والسجن.

– ولقد جاء ختام الآية (ذلك لهم خزي في الدنيا و لهم في الآخرة عذاب عظيم) ليسجل عليهم الخزي والذل في الدنيا بالقتل أو التقطيع أو الصلب أو النفي كما يتوعدهم في الآخرة بالعذاب العظيم.

(١٤) (يَجُرُّهُ إليه) (١٥) (فلا تُشْمِت) :

ورد هذان الفعلان في قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ

(١) البحر المحيط ٣/٤٧١ بتصرف يسير.

ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٠.

الفعلان (يجره) و(تشمت) وردا – كما هو واضح من قراءة الآية – لوصف حالة موسى عليه السلام عندما رجع من ميقات ربه ووجد بني إسرائيل عاكفين على عجل السامري. وتصور الآية مقدار غضبه وأسفه على ذلك.

– ويأتي الفعلان المذكوران ليكملا تلك الصورة الحركية التي تنتصب أمامنا شاخصة، كأنها تحدث الآن وكأننا نشاهد موسى وقد أخذ منه الغضب والثورة مأخذا كبيرا ينسيه قدسية الألواح وطهارتها فيلقيها إلى الأرض وينسيه عاطفة الأخوة فيجذبه من رأسه بشدة بينما أخوه يستثير فيه مشاعر الأخوة ومودة الرحم (ابن أم) ويقدم الاعتذار عما حدث له لأنه كان فوق طاقته ويرجوه ألا يشمت به الأعداء، لأنها أشد من كل بلية قال الشاعر:

والموت دون شماتة الأعداء[1]

وتتعاون البلاغة في الآية الكريمة على إبراز صورة الجر وصورة الشماتة والتعليل ضمنا متبعة في ذلك أسلوب التدرج والترقي؛ ففي صدر الآية، نجد موسى عليه السلام (غضبان أسفا) فـ (غضبان) فيها مبالغة في الغضب و(أسفا) صفة مشبهة على وزن (فَعِلٌ) أبلغ من (آسِفٌ) على وزن(فَاعِلٌ) لأنها تدل على ثبوت الصفة وفي ذلك أيضا مبالغة في الحزن والغضب... ثم يتدرج هذا الغضب والأسف ويرتقي إلى مرحلة أعلى قليلا وذلك باستخدام أسلوب الذم (بئسما خلفتموني من بعدي) إذ المفروض من الخلف أن يحافظ على عهد من استخلفه، ويترقى الأمر بعد ذلك إلى التوبيخ عن طريق الاستفهام الإنكاري (أعجلتم أمر ربكم) ويبلغ التدرج والترقي قمته ويتحول موسى من الغضب النفسي والأسف القلبي ومن الذم والتوبيخ القولي إلى الفعل الحركي العنيف فيلقي الألواح ويجر أخاه من رأسه غير آبه بتوسُّلاته.

(١٦) (يُضَاهِئُون) :

ورد هذا الفعل في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ التوبة: ٣٠.

(١) حاشية شيخ زادة ٢/٢٧٢.

والسياق هو تقرير بطلان عقيدة أهل الكتاب القائلة بأن لله ابنا هو عزير في اليهودية والمسيح في النصرانية، والآية تؤكد أن هذا كفر مشاكل ومضاه لكفر من قبلهم من القائلين بأن لله بنات من الملائكة وتعتبر هذه الآية بمثابة تعليل للأمر بقتالهم في الآية السابقة حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .

- ومعنى يضاهئون – بالهمزة أو بغيرها (يضاهي قولهم قول الكفار ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فانقلب مرفوعا)[1].

- وقد أثبت البحث المعاصر في عقائد الوثنية القدامى في مصر والهند وبلاد الإغريق أن قول اليهود بالبنوة لله وقول النصارى بالتثليث متسرب من هذه الوثنيات إلى تعاليم (بولس الرسول) أولا ثم إلى تعاليم المجامع المقدسة أخيرا.[2]

- وفي بلاغة السياق يأتي (ذلك قولهم بأفواههم) لاستحضار صورة القول مرئية ومسموعة للدلالة على أن هذا مجرد قول بالأفواه (لا يعضده برهان فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ من أي معنى تحته كالألفاظ المهملة التي هي أجراس ونغم ولا تدل على معان، وذلك أن القول الدال على معنى يكون لفظه مقولا بالفم ويكون معناه مؤثرا في القلب، وما لا معنى له مقول بالفم لا غير)[3]

- ونضيف إلى ذلك المجاز المرسل في (بأفواههم) بعلاقة الكلية لأن القول يكون باللسان، ولكن ذكر الأفواه هنا يؤكد أن قولهم هذا يملأ أفواههم حتى يوهموا السامع بصدقه ويصرفوه عن الحق إلى الباطل ولذلك استحقوا الدعاء عليهم بالهلاك (قاتلهم الله أنى يؤفكون).

(١٧) (تُكْوَى) :

ورد هذا الفعل في قوله تعالى:﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ التوبة: ٣٥.

(١) الكشاف ٢/٢٦٤ ومعنى العبارة أن الضمير (هم) المضاف إليه في(قولهم) أقيم مقام المضاف (قول) بعد حذفه، وعند ذلك انقلب هذا الضمير إلى الواو الموجودة الآن في (يضاهئون) والتي تعرب فاعلا في محل رفع.الباحث.

(٢) انظر في ذلك تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ١٠/٣٤٠ ط – المنار – مصر ١٩٣١ وفي ظلال القرآن ٣/١٦٤٠.

(٣) الكشاف ٢/٢٦٤.

- والسياق هو الحديث عمن يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وهؤلاء مهددون بأن سيحمى على ما كنزوه ثم تكوى أجسادهم به والفعل (تكوى) يمثل بموقعه وتفرده تهديدا بعذاب جسدي تهز صورته الوجدان فبعد أن يحمى الذهب والفضة في النار تؤخذ منه تلك القطع – بعد أن تحمر وتكون كالميسم المحمى وتبدأ عملية الكي في الجباه[1] وهي موطن الوجاهة والعزة ثم تدار على الجنوب ثم يقلبون على بطونهم لتكوى ظهورهم وهذا كله وسط التأنيب والتوبيخ والسخرية .. هذا الذي كنزتم هو الذي يكويكم .. فذوقوا ما كنتم تكنزون!

- والتعبير بالمضارع المبني للمجهول في (يحمى وتكوى) يذهب الظن في الفاعل كل مذهب مما يزيد في الرعب ويضاعف التهديد، وعرض العذاب بهذه الصورة التفصيلية يوقع في القلوب الفزع ويحفز المخاطبين إلى التفكير في هذا المصير المروع فيتحقق الزجر والبعد عن اكتناز المال وتتجدد الرغبة في إنفاقه في سبيل الله وتحقق البلاغة القرآنية غايتها الدينية مع الغاية الجمالية.

(١٨) (يَجْمَحُونَ):

ورد في قوله تعالى: ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ التوبة: ٥٧.

- والسياق هو فضح المنافقين الذين يظهرون التدين ولكنهم يخفون قلوبا حاقدة على المسلمين. والقرآن هنا يكشف قناعهم ويعطي علامات بارزة تدل عليهم حتى لا ينخدع المسلمون بهم (راجع الآيات ٤٦-٥٩) ومن هذه العلامات ما ورد في الآية موطن الفعل (يجمحون) وما قبلها، ومن ذلك أنهم لشعورهم بأن المسلمين يشكون في صدق ولائهم (يحلفون بالله إنهم لمنكم) والخبر هنا إنكاري مؤكد بالقسم وإن واللام وهذا يدل على أنهم يعرفون شك المؤمنين ومن ثم فإن القرآن يحذر المؤمنين (وما هم منكم) ويقدم القرآن الدليل الحي على ذلك وهو أنهم عند المواجهة، يجزعون خوفا من القتال (ولكنهم قوم يفرقون) ثم يبحثون عن مهرب سواء أكان (ملجأ) يتحصنون به أو (مغارات) يختبئون فيها كالجرذان أو (مُدَّخلا) (كنفق يندسون فيه وينجحرون)[2]

(١) لفظ[جباه] لم يرد في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع ولعل تفردها بالذكر أيضا يعضد الصورة المنفردة لهذا العذاب.

(٢) الكشاف : ٢/٢٨١.

ويوحي الافتعال الملحوظ في (مدخلا) بالمجاهدة والمزاحمة والانحشار أمام باب النفق وفي داخله.

– وترتيب المعطوفات (ملجا أو مغارات أو مدخلا) من الأعم إلى الأخص يدل على الحالة النفسية للهاربين من المواجهة حيث يندفعون أولا إلى أي ملجأ من أي نوع كان .. فإذا لم يجدوه بحثوا عن المغارات التي يختفي فيها اللصوص والخارجون على القانون في الجبال.. فإذا لم يجدوها نزلوا إلى الأنفاق والمسارب السافلة المعبر عنها بالمدّخل.

– وينفرد الفعل (يجمحون) بتصوير سرعة هربهم واندفاعهم كما يندفع الفرس النافر، والاستعارة المكنية هنا توحي بذلك وتكتمل الصورة المرسومة بعناية فائقة حين نطل على المشهد كله فنرى هؤلاء المنافقين مندفعين من ساحة المعركة فَرَقًا ورعبا ثم نراهم باحثين عن حصن أو كهف أو نفق ثم صورتهم وهم متدافعون أمام أبوابها.. وهي صورة كاشفة فاضحة لهذا الصنف الذي يجب أن نحذر منه.

(١٩) (تَزْدَرِي) :

ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ﴾ هود: ٣١.

– والسياق هو جانب من قصة نوح عليه السلام مع قومه حين صدوا عن اتباعه محتجين بأنهم الملأ، أصحاب الوجاهة والصدارة ولا يليق بهم أن يتبعوه مع أراذل القوم فلا بد أن يطردهم ولكنه يخبرهم بأن الميزان الإلهي لا يفرق بين الناس بهذا المقياس الدنيوي ثم يبين لهم أنه أيضا ليس غنيا يملك خزائن الأرض وليس عالما بالغيب وأنه لن يحرم أتباعه الذين تحقرون شأنهم من كلمة طيبة أو وعد بالخير؛ لأن الله أعلم بسرائرهم.

– وبالتأمل في الفعل (تزدري) نجد أن تاء الافتعال أبدلت دالا لتجانس الزاي في الجهر ومادة(زرى) تعني: عاب، والفعل بجرسه وتزاحم حروفه وتضارب مخارجها وتنوع صفاتها[١] يعطي إحساسا بالثقل في النطق ينسجم مع معنى ازدراء العين وعدم

(١) نلاحظ على حروف الفعل أن التاء: صوت أسناني لثوي انفجاري شديد . والزاي: صوت لثوي احتكاكي مجهور. والدال : أسناني لثوي مجهور غير مفخم. والراء: لثوي مجهور تكراري.

رضاها عما ترى فهم كالقذى في العين ويزيد من هذا الإحساس معنى الافتعال الذي يوحي بالمجاهدة والمغالبة.

– وإطالة المد بالياء في آخره لوجود همزة أعينكم يوحي بالمبالغة في الازدراء، [وإسناد الفعل إلى الأعين مجاز للمبالغة حيث أنه إسناد إلى الحاسّة التي لا يتصور منها تعييب أحد فكأن من لا يدرك ذلك يدركه وللتنبيه على أنهم استحقروهم بادي الرأي وبما عاينوه من رثاثة حالهم دون تأمل وتدبر في معانيهم وكمالاتهم][١] وبذلك يؤدي (تزدري) من المعاني ما لا يؤديه فعل آخر في هذا السياق، وعمود البلاغة كما يقول الخطابي(وضع اللفظ موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة)[٢]

(٢٠) (يَرْتَعْ) :

ورد في قوله تعالى: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝ ﴾ (يوسف: ١٢).

– والسياق بداية قصة يوسف عليه السلام حيث يتآمر أخوته على قتله ويدبرون أمر أخذه من أحضان أبيه فيطلبون منه أن يصطحبهم غدا إلى حيث يرعون أغنامهم في الخلاء كي يستمتع بالهواء النقي وما تجود به البرية من طعام طبيعي وليتريض بالجري واللعب في هذا الخلاء الفسيح، والقصة كلها معروفة والمشهد الذي نحن بصدده جزء من مؤامرة الأخوة للتخلص منه حتى يخلو لهم وجه أبيهم.

– وأصل الرتع أكل البهائم ولكنه(يستعار للإنسان كما يقول الراغب الأصفهاني إذا أريد به الأكل الكثير) وكأنهم بهذا الفعل وما عطف عليه (يلعب) يغرون أباهم بترك يوسف لهم لأنهم يعرفون مقدار حبه له وتعلقه به، وقرئ الفعل بالنون (نرتع) أي نرعى غنمنا وهو يلعب بجوارنا،وهم يؤكدون في كلتا الحالتين أنهم ناصحون له حافظوه مما يؤذيه.

(١) روح المعاني ١٢/٤٣/٤٤.

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص: ٢٩.

(٢١) (**تَفْتَأ**) :

ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ يوسف: ٨٥.

- والسياق مشهد آخر من مشاهد قصة يوسف عليه السلام حيث عاد أخوته من مصر دون أخيهم الصغير لأن يوسف قد احتجزه وآواه إليه بعدما وضع صواع الملك في رحْله كي تكون هناك حجة لاستبقائه، وتتجدد أحزان الشيخ الكبير على يوسف حتى تبيض عيناه وهو يكظم حزنه على الأخوين ويتجدد الحقد في قلوبهم فلم يواسوا الأب المكلوم بكلمة حانية بل لاموه على شدة وجده وحزنه قائلين (تالله تفتأ تذكر يوسف..) .

- ويلمح الطاهر بن عاشور إلى أن جعلهم الغاية أن يكون حرضا أو هالكا تعريض بأن يعقوب يذكر أمرا لا طمع في تداركه (لأن الحرض بمعنى البلي وانعدام الشعور) وأن قول يعقوب (يا أسفا على يوسف) تعريض - يقابل تعريضهم - بدعاء الله أن يزيل أسفه برد يوسف إليه لأنه كان يعلم بالفراسة الصادقة أو بالإلهام أن يوسف لم يهلك ولكنه بأرض غربة مجهولة[١]

- والفعل(تفتأ) بمعنى (لا تفتأ) فهو منفي بلا حتى ولو لم تذكر أداة النفي، وعلى غراره قول امرئ القيس:

- فقلت يمين الله أبرح قاعدًا   ولو قطّعوا رأسي لديك وأوصالي. [٢]

- وذلك لأنه لو كان مثبتا للزمت اللام والنون جواب القسم فقيل (تالله لتفتأن).

- ووقوع (تفتأ) في جواب القسم وإلحاق خبره به(تذكر يوسف) ثم استمرار هذا التذكر المحزن حتى يصيبه الحرض أو يلحقه الهلاك يوحي بغلظة قلوب الأبناء ويستحضر صورهم من غياهب التاريخ وكأننا نراهم من جديد وهم يؤنبون أباهم ويوبخونه بصوت مرتفع يساعد على ارتفاعه تراسل التاءات الانفجارية التي تبدأ بها كلمات (تالله تفتأ - تذكر - تكون - أو تكون) بينما تنبعث صورة الأب المستسلم الحزين وهو يردد صوته الواهن، إنما أشكو بثي وحزني إلى الله)....

---

(١) تفسير التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور ١٣/٤٤ ط الدار التونسية للنشر.

(٢) ديوان امرئ القيس ١٤١- دار صادر - بيروت. والبيت من قصيدة مطلعها :

ألا عِمْ صباحا أيها الطلل البالي   وهل يَعِمَن من كان في العصر الخالي

(٢٢) (**تُفَنِّدُونِ**) :

ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ ﴾ يوسف: ٩٤.

- وما زلنا في قصة يوسف وهذا مشهد من مشاهدها الكثيرة:

- أخيرا أفصح يوسف عن نفسه لأخوته وقبل اعتذارهم له عما ارتكبوه في حقه وحق أبيه وعفا عنهم ودعا لهم ثم أعطاهم قميصه ليلقوه على وجه أبيه حتى يرتد بصيرا. وحين فصلت العير من مصر شم يعقوب عليه السلام ريح يوسف وأخبر من حوله بذلك ولأنه كان يعلم أنهم لن يصدقوه استدرك قائلا (لولا أن تفندون) أي لولا أن تنسبوني إلى الخرف وضعف الرأي والخبل لصدقتموني فيما قلت.

- ولولا: حرف امتناع لوجود، فتصديق أولاده له لم يتحقق لاعتقادهم بأنه مفند أي ضعيف الرأي ولكننا نحس من جرس هذا الفعل الفريد بأسف يعقوب وحزنه وهو يعلن لأولاده أنهم لن يصدقوه؛ لأنهم لا يملكون تلك الحاسة الإيمانية التي يملكها خاصة الناس وهي ما سماه علم النفس الحديث (الحاسّة السادسة أو الشعور على البعد Tellpathy ولذلك فقد صدق حدسه في أولاده إذ عاجلوه متهمين (تالله إنك لفي ضلالك القديم) كما صدق إحساسه بريح يوسف حين جاء البشير بقميص يوسف وألقاه على وجهه فارتد بصيرا.

(٢٣) (**يَتَجَرَّعُهُ**) :

ورد هذا الفعل في قوله تعالى : ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (إبراهيم: ١٦- ١٧)

- والسياق هو بيان عاقبة كل جبار متكبر عنيد، إنما الخيبة التي تنتظره وجهنم يسقى فيها الصديد المتخلف من صهر ما في البطون والجلود، وهو لا يكاد يتقبل هذا الشراب رغم حاجته الشديدة إليه لشدة عطشه" فتراه يتكلف جرعه مرة بعد أخرى لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه[١] "

---

(١) روح المعاني ١٣/ ٢٠٣

– وبالتأمل في الفعل موضع الشاهد(يتجرّع) نرى أن الفعل فيه يجسم لنا صورة تكلُّف الجرع الذي هو بلع الماء وهذا التكلف ناتج من عدم استساغته لأن السوغ (انحدار الشراب في الحلق بسهولة وقبول نفس) [1]

– والجو العام المحيط بالفعل يوحى بالخوف والخيبة والهزيمة لهذا الجبار وأمثاله ممن صورهم الآية رقم (١٣) فى الدنيا وقد رفعوا عقيرتهم للرسل بالتهديد والوعيد قائلين : " لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا..)

– إنهم الآن فى الموقف الأضعف المخزى يحيط بهم الموت من كل مكان وهم يطلبونه كي يستريحوا من هذا التجرع ولكن أنى لهم ذلك ومن ورائهم عذاب غليظ.

– ونرى أن الفعل بهذه الصيغة يناسب الصديد الذى وصف به الماء المسقى به ، ولم يتكرر الفعل فى المواقف المشابهة التى وصف فيها ماء جهنم بالحميم؛ أوبالغسلين حتى يرعوي هؤلاء الجبارون الذين يظنون أنهم قادرون على إسكات صوت الحق فى الدنيا ــ وبذلك يتحقق الغرض الدينى من البلاغة القرآنية بالإضافة الى الغرض الفنى.

(٢٤) (تَفْضَحُونِ) :

ورد في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٨) ﴾ الحجر:٦٧ – ٦٨.

– والسياق هو الحديث عن قوم لوط الذين انحرفوا عن الفطرة الإنسانية السوية ومالوا في ارتكاس عجيب إلى إتيان الذكران من العالمين، ويحكي السياق أن الملائكة جاءوا في صورة بشرية إلى إبراهيم عليه السلام يبشرونه بالولد، ثم انطلقوا بعد ذلك إلى لوط عليه السلام يخبرونه بضرورة الرحيل بأهله من هذه المنطقة الموبوءة فإنهم سيدمرونها بمن فيها ويجعلون عاليها سافلها، وحين سرى خبر وصول الملائكة إلى ضيافة لوط جاءه قومه متلمظين مستبشرين بهذا الصيد الثمين.

– ووقع لوط عليه السلام في محنة رهيبة ومأزق صعب بين سُعار رغبة مجنونة تدفع قومه للاعتداء على ضيفه وبين واجب الحفاظ على الضيف الذي تفرضه ضرورات البيئة والتقاليد الإنسانية، فيهتف بهم مستعطفها (إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون) وتستمر القصة إلى أن تنتهي بتدمير القرية بمن فيها.

(١) السابق : ١٣/ ٢٠٣

– والفعل(تفضحون) يأتي في مقابل (يستبشرون) الذي يبين حالة هؤلاء الفجرة ويكشف عن مدى الاعوجاج في بعض النفوس البشرية حيث يتجمهر بعض الشواذ في صخب فاضح لممارسة الشذوذ والغرض البلاغي من النهي (لا تفضحون) هو الاستعطاف والترجي.

(٢٥) (فَسَيُنْغِضُونَ) :

ورد هذا الفعل في قوله تعالى: ﴿ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) ﴾ الإسراء: ٥٠-٥١.

– والسياق هو إنكار كفار قريش للوحي والبعث متجاهلين حقيقة أن الإعادة أسهل من البدء فيتحداهم القرآن بهذا الرد(كونوا حجارة أو حديدا.. الخ) والأمر هنا للتعجيز أو لمجاراة الخصم أي: كونوا أي شيء (مما يعظم على الخالق في زعمكم إحياؤه فإنه يحييه)[1] إن الذي فطره أول مرة سوف يعيده ويبعثه من جديد ولكنهم مع هذا التوبيخ والسخرية التي تقرع القلوب لا يتأثرون بل تكون استجابتهم لهذا التحدي متسمة بالكبر والاستهزاء (فسينغضون إليك رؤوسهم..) والتعبير بالفعل الفريد (ينغضون) في هذا المجال ينقل إلينا صورة هؤلاء المكذبين وهم يحركون رؤوسهم علوا وسفلا ويمينا ويسارا وهي إشارة إلى التكذيب المصحوب بالتهكم والاستعلاء، وتلك الإشارة بالرأس أبلغ من أي تعبير لفظي والإنسان يلجأ إلى لغة الإشارة Gesture Language ليعبر بها أحيانا عما يعتمل في نفسه وقد صاحب هذه الإشارة سؤالهم الدال على استبعاد البعث (متى هو؟).

– ويلعب أسلوب التدرج والترقي هنا دور التحدي والتعجيز والسخرية من قلة أفهامهم وضحالة تفكيرهم إذ يبدأ من العظام والرفات (أإذا كنا عظاما ورفاتا) ويتدرج إلى الحجارة فالحديد (كونوا حجارة أو حديدا) ثم يترقى إلى ما هو ــ في تصورهم ــ أشد صلابة وقساوة من ذلك (خلقا مما يكبر في صدوركم).

(١) الكشاف: ٢/ ٦٧٢.

(٢٦) (لَأَحْتَنِكَنَّ):

ورد هـــذا الفعل في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٦٢)

– والســـياق هـــو الحديث عن إبليس ورفضه السجود لآدم عليه السلام ثم تهديده بإضــلال ذريــته والاستيلاء على عواطفهم ومشاعرهم وتوجيه كل سلوكهم وجهه شــيطانية مستثنيا من ذلك عددا قليلا ليس له عليهم سلطان، والفعل (لأحتنكن) يعني الاستئصال بالإغواء وهو مأخوذ من (احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلا)[1] كمــا يجوز أن يكون من الحنك. من قولهم: حَنَكْتُ الدابة أي أصبت حنكها باللجام والرســن، فيفسر الفعل حينئذ بمعنى لألجمنهم ولأرسننهم[2] وعلى كلا التفسيرين فإن في الفعــل استعارة تصريحية حيث شبه استيلاء إبليس على بعض العباد وتجريدهم من إرادتهــم لــيكونوا طــوع أمــره باحتناك الجراد للأرض وما عليها أو باحتناك الدابة وتوجــيهها بالــلجام أو الرسن وحذف المشبه وصرح بالمشبه. وبالرجوع إلى المواقف المتشابهة مع هذا الموقف الإبليسي في القرآن الكريم من مثل قوله تعالى على لسان إبليس ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (ص: ٨٢). أو ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر: ٣٩) نجــد أن تعــبير(لأحتــنكن) ينفرد هنا ولا يتكرر لأنه يؤدي من المعاني مالا يؤديه (لأغويــنهم) أو(لأزينن لهم) إذ هما يكتفيان بالغواية وتزيين الباطل. أما هو فإنه يصور تحكم إبليس المطلق على بعض العباد وذلك لأنه في هذا السياق جاء نتيجة لحسد إبليس لآدم الــذي خلقه الله من طين ثم كرمه عليه (قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي...) والحسود يتمنى زوال المحسود من الوجود ولهذا ناسب (لأحتنكن) وينبه عبد القاهر إلى أهمية السياق ببيان أن ما يروقك في موضع فليس بالضرورة أن يروقك في موضع آخر فليســت المــزية في اللفظ بذاته(فليس إذا راقك التنكير في (دهر) من قوله(فلو إذ نبا دهر) فإنه يجب أن يروقك أبدا وفي كل شيء إذا ليس من فضل ومزية إلا بحسب المعنى الذي نريد والغرض الذي نؤم)[3] ونضيف إلى بلاغة التفرد هنا أن مقام الحسد بسبب

---

(١) الكشاف: ٦٧٧/٢.

(٢) المفردات في غريب القرآن (حنك).

(٣) انظر : دلائل إعجاز – عبد القاهر الجرجاني ٨٧ تحقيق محمود شاكر ط الخانجي – القاهرة.

الــتكريم لم يتكرر إلا في هذا الموضع ولذلك تفرد (لأحتنكن) بالتعبير عن غيظ إبليس وتصميمه على إضلال ذرية آدم عليه السلام.

(٢٧) (تَبِيدَ):

ورد في قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ الكهف:٣٥.

– والســـياق هو قصة الرجلين والجنتين الواردة في سورة الكهف يضربها الله مثلا لــنموذجين مــتقابلين من البشر نراهما دائما في دنيا الواقع ماثلين أمامنا كما صورهما القــرآن: الأول غــني متبطر فرح بجاهه مغتر بماله منكر للبعث ظالم لنفسه إذ حرمها الإيمــان، والــثاني فقير متواضع مؤمن بربه معتمد عليه موقن بأن الأرزاق مقدرة وأن الشــكر على النعم سبيل دوامها وبقائها. وتحدث بينهما محاورة تكشف عن شخصية كــل منها (اقرأ الآيات ٣٢–٤٤) وبالتأمل في الفعل (تبيد) نجد أ نه واقع في أسلوب الــنفي (ما أظن أن تبيد هذه أبدا) والنفي واقع على مجرد الظن وهذا يدل على غرور متناه واطمئنان زائد إلى ديمومة نعيم الدنيا، ويؤكد ذلك بلفظ (أبدا) الذي يوحي بطول الأبد ولا يتوقف هذا الغرور عند حد الدنيا بل يتضخم ويتضخم إلى حد التشكيك في البعــث (وما أظن الساعة قائمة) والتبجح على الله بأنه حتى لو بعث فسوف يجد في الآخــرة جنة خيرا من جنته في الدنيا (ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا) وذلك لتوهمه بأنه ما دام في الدنيا صاحب منزلة فإنه في الآخرة كذلك أو أفضل.

– ولفظ (لتبيد) في سياقه متفرد بأداء كل هذه المعاني السابقة إذ لا يغني غناءه فعل آخر من مثل ما أظن أن(تفنى) (تنتهي) (تذبل أشجارها) لأن نفي الإبادة أعم وأشمل مما ســواه حيث إنها اقتلاع من الجذور ومحو تام من الوجود،ولسبب ما سميت الصحراء المهلكة بالبيداء ، لأن من يجتازها يعرض نفسه لخطر الإبادة.

(٢٨)(يَنقَضَّ) :

ورد في قوله تعالى: ﴿ .. فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ.. ﴾ الكهف: ٧٧.

– والســـياق هـــو قصة موسى عليه السلام مع صاحبه العبد الصالح حيث رغب موسى أن يتعلم منه الرشد والحكمة فاشترط العبد الصالح عليه ألا يسأله عن شيء فعله ولم يفهم حكمته لأنه بنفسه سوف يخبره بها فيما بعد.

- وصحبه على هذا الشرط وحدثت منه أفعال تبدو منكرة أو متناقضة في ظاهرها مثل خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار.

- وبالتأمل في مادة الفعل المذكور نجد أنها تعني أحيانا: انْقَضَّ، تقولُ: قَضَضْتُهُ فَانْقَضَّ إذَا وَقَعَ، تَقُولُ: انْقَضَّ الحائط إذا وقع.. وتارة تعني قَضُّ المَضْجَعِ فيقال: وأَقَضَّ مَضْجَعُهُ: إذا صار فيه قَضَضٌ أي حجارة صغيرة[1]

- وعلى هذا يكون المعنى (يريد أن يسقط) أو (يريد أن يتفتت) حتى يصير حصى صغيرا.

- وعلى كلا المعنيين فإن الجدار يبدو أنه كان قديما متهالكا يتفتت منه الحصى مع الريح أو المطر كما يحدث في المباني القديمة، وإنه لذلك يكاد يسقط ويتحول إلى ركام من الحصى المتفتت.

- والفعل يكتسب في هذا المقام ميزة التفرد من وجهين:

الأول: أن أي فعل آخر مثل (يكسر - يتهدم - يسقط - يقع) لا يؤدي ما يؤديه من معنى القدم والتهالك والقضقضة التي تكاد تسمع من لفظ (ينقض) إيذانا بقرب سقوطه كما يسمع من بعض المباني وقت الزلازل الخفيفة، وجرس اللفظ يوحي بذلك (وللجرس قيمة جوهرية في الألفاظ وفي بنائها اللغوي، وهو أداة التأثير الحسي بما يوحيه إلى السامع بسبب اتساق اللفظة وتوافقها مع غيرها من الألفاظ في التعبير الأدبي). [2]

الثاني: أن المقام لم يتكرر في القرآن الكريم إذ لم ترد قصة موسى مع العبد الصالح إلا في هذا الموضع.

- ووسط هذا التفرد البليغ يأتي إسناد الإرادة إلى الجدار(جدارا يريد أن ينقض) إما على سبيل الاستعارة التصريحية بتشبيه المشارفة على الانقضاض بالإرادة بجامع الميل فيهما أو على سبيل الاستعارة المكنية التخييلية بتشبيه الجدار بإنسان له إرادة، وفي كلتا الصورتين فإن الأسلوب القرآني يبعث في الجماد الحياة ويعرضه علينا في صورة من يريد ويفكر [والاستعارة نشاط لغوي حيوي لأنها تفتح المجال أمام علاقات بين الأشياء لم

(١) المفردات في غريب القرآن (قض).

(٢) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب د. ماهر مهدي هلال - دار الرشيد - بغداد - ١٩٨٠

تكن مدركة من قبل وهي من مظاهر التفوق في الأسلوب إذا استعملت استعمالا ملائما لأنها تعطي لك فكرتين عن شيء واحد.[1] وهما هنا فكرتا الإنسانية والجمادية للجدار وتكثر في العربية ظاهرة استعارة ما يختص بالإنسان إلى الطير والحيوان والجماد والنبات [2].

(٢٩) (أَعِيبَهَا):

ورد في قوله تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾ الكهف: ٧٩.

- ومازال السياق هو قصة موسى والعبد الصالح والمقام هنا تفسير خرق السفينة وهو القصد إلى إعابتها حتى لا يستولى عليها الملك الظالم حيث إنها كانت لمساكين يعملون في مهنة الصيد والتجارة في البحر.

- والفعل (أعيبها) يبدو أنسب الأفعال في مقامه لأننا لو أبدلناه بـ (أتلفها) أو (أكسرها) أو (أفسدها) لغرقت السفينة بالفعل وغاصت في البحر وهلك من فيها.. ولكن (أعيبها) ينصرف إلى العيب الظاهري الخفيف الذي يشوه ولا يفسد، وبهذا الفعل دون غيره يتحقق الغرضان اللذان هدف إليهما العبد الصالح وهما عدم طمع الملك الظالم فيها لأنه كان يأخذ كل سفينة صالحة لا معيبة، والثاني الحفاظ عليها لهؤلاء المساكين الذي يرتزقون بسببها.

(١) اللغة بين الأسلوبية والبلاغية ، د. مصطفى ناصف ، ٤٩ ط: كتاب النادى الثقافي بجدة ،العدد / ٥٣ لسنة ١٩٨٩م.

(٢) من ذلك للطير قول النابغة الذبياني:

خَوَانِعُ قد أَيْقَنَّ أن قبيلَهُ   إذا ما التقى الجمعان أول غالب

وقول عنترة في الفرس:

فازْوَرَّ من وَقْعِ القنا بِلَبَانِهِ   وشكا إليَّ بِعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ

(انظر ديوان عنترة صـ ٣٠ - دار صادر - بيروت

وقول المتنبي في الجياد والسيوف:

فإنْ شقيتْ بأيديهمْ جيادي   لقد شقيتْ بمنصلِيَ الوُجُوهُ

(ديوان المتنبي ٤/٤٠٤.

وقول البحتري في النبات:

وقد نبَّهَ النَّوْرُوزُ في غَسَقِ الدجى   أوائلَ وردٍ كُنَّ بالأمسِ نُوَّمَا

(ديوان البحتري صـ ١/١٤٧- دار صادر - بيروت)

– ومن بلاغة التعبير أيضا: أنه أخر السبب (وهو الخوف من غصبها) وقدم المسبب وهـو أن (أعيبها) لأنه كما يقول الزمخشري (على نية التأخير وإنما قدم للعناية، ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها لمساكين.[1]

– ويضيف أحمد الإسكندري في الانتصاف ما رآه من أسلوب عجيب في هذه الآية وكيف تتغاير الأساليب ولا تأتي على نمط واحد مكرر يمجها السمع وينبو عنها الطبع وذلك حيث أسند العبد الصالح إرادة العيب إلى نفسه (أردت أن أعيبها) بينما أسند إلى ضمير الجماعة والمعظم نفسه في قوله تعالى ﴿ فأردنا أن يبدلهما ربهما ﴾ و(فخشينا أن يرهقهما..) وذلك من باب الأدب مع الله، لأن المراد ثمّ عيب فتأدب ثم نسب الإعابة إلى نفسه، وأما الإسناد إلى ضمير الجمع فالظاهر أنه من باب قول الملك: أمرنا بكذا أو دبرنا كذا، وإنما يعنون أمر الملك ودبر، ويدل على ذلك قوله في الثالثة (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما).[2]

(٣٠) (تَؤُزُّهُمْ) :

ورد هـذا الفعـل في قولـه تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ۝ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ۝ ﴾ مريم: (٨٣-٨٤)

– والسياق هو الحديث عن نفر من الكفار ممن أغرتهم الشياطين باتخاذ الأصنام آلهة مـن دون الله وزينـت لهـم أن بها العزة والمنعة مع أنها سوف تتبرأ منهم يوم القيامة ويكونـون عليهم ضدا. والقرآن الكريم يخاطب محمدا صلى الله عليه وسلم ألا يعجل عليهم وألا يضيق صدره بهم حرجا فإن كل أفعالهم يحصيها الله ويعدها عليهم عدا ، والفعـل (تؤزهم) يصور فعل الشياطين في هؤلاء إنها(تغريهم وتهيجهم) على المعاصي تهييجا شديدا بأنواع التسويلات)[3].

– والأز والأزيز في الأصل من أزت القدر إذا اشتد غليانها ويقول الراغب إن (أزه) أبلغ من(هزّه) من غير أن يبين السبب، ربما لوضوحه وهو أن الهز: التحريك سواء أكان شـديدا كما في قوله تعالى: ﴿ فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ﴾ أو خفيفا كقوله

(١) الكشاف: ٧٤١/٢.

(٢) الانتصاف : حاشية على الكشاف ٧٤١/٢.

(٣) روح المعاني : ١٣٤/١٦

تعـالى: ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ﴾ أما (الأز) فهو الإرجاع والتقليب مع الصـوت الناتج من غليان القدر، والتعبير عن فعل الشياطين في النفوس بالأزيز يصور مقـدار سـطوة الشـياطين وسـيطرتهم عـلى هؤلاء ويساعد على ذلك التوكيد بالمصـدر(تؤزهم أزا) ، وقد تكون في دلالة الفعل على الأزيز الناتج من غليان المرجل إرهاص بالمصير الذي يلحق أتباع الشيطان حين يطعمون "طعام الأثيم، كالمهل يغلي في البـطون، كغـلي الحميم) الدخان: (٤٤-٤٦)، ويسقون ماء الحميم الذي يقطع و (يصهر به ما في بطونهم والجلود) (الحج: ٢٠).

– والفعـل (تؤزهم) هنا متفرد بكل هذه الإيحاءات رغم تكرار التعبير القرآني عن فعل الشياطين في النفوس كالنزغ والوسوسة والغواية ..الخ[1]

(٣١) (أَهُشُّ) :

ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝ ﴾ (طه: ١٧-١٨).

– والسياق جانب من قصة موسى عليه السلام حينما ذهب يطلب نارا لأهله فلما أتاهـا سمع النداء العلوي يلقنه التوحيد (لا إله إلا أنا) والعبادة (فاعبدني وأقم الصلاة لذكـري) والإيمـان بالبعث (وأن الساعة آتية..) كما يرشده إلى معجزته وهي العصا واليد البيضاء(١٠- ٢٣)

– وقـد جـاء الفعل (أهش) في إجابة موسى لربه عما في يمينه وهي عصاه التي يسـتخدمها في الـتوكأ وإسـقاط أوراق الشجر لترعاها غنمه بالإضافة إلى فوائدها الأخرى.

– والفعـل مضـارع (هش) وهو يقارب الهز في التحريك ويقع على اللين كهش الورق أي خبطه بالعصا، ومن التعبيرات المألوفة لإظهار جانب المودة واللطف أن يقال هش الرجل للضيف وبش بمعنى (لان وتلطف) فمادة الفعل (فيها رخاوة) كما يقول أبو حيان.[2] ومعنى ذلك فيما أرى أن سر استخدام الفعل (أهش) في هذا المقام هو ما

(١) ورد الحديث عن الشيطان أو إبليس في القرآن الكريم أكثر من ١٤٠ مرة (انظر فهارس القرآن الكريم صـ ٢٦٦.. ملحق بـ(تفسير وبيان القرآن الكريم) إعداد محمد الحمصي ط: دار الرشيد دمشق.

(٢) البحر المحيط ٢٢٨/٦.

يتميز به من تلك الليونة التي تتناسب وأوراق الشجر الغض الطري الذي يصلح – دون غيره – لغذاء الغنم وإدرارها ولا تؤدي أفعال أخرى مثل (أقطع – أضرب) هذا المعنى كما أعتقد أن هذا اللين واللطف يناسب روح اليسر والسهولة التي تفتتح بها السورة ﴿ طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ ويتناسب كذلك مع جو البركة والطهر في الوادي المقدس طوى، والدعوة إلى الأمن والطمأنينة (..خذها ولا تخف..) وانشراح الصدر(رب اشرح لي صدري ويسرلي أمري) والبشارة (كي تقر عينها ولا تحزن..) .

(٣٢) (لا تَنِيا في ذكري) :

ورد الفعل (تنيا) في قوله تعالى ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴾ طه: ٤٢.

– والسياق استمرار لقصة موسى والمشهد هو تلقى الأمر بالرسالة والذهاب هو وأخوه إلى فرعون لإبلاغه رسالة التوحيد.

– والفعل (من الوني وهو الفتور والتقصير)[١] فالمعنى على هذا: لا تفترا ولا تقصرا في ذكري ، والذكر هنا يحتمل أن يكون ذكر الله، فيكون المقصود: استعينا على حمل هذه الرسالة بذكري فإن من داوم على الذكر بقلبه أو بلسانه هان عليه الصعب، كما يحتمل أن يكون الذكر هو تبليغ الرسالة (فإن الذكر يقع مجازا على جميع العبادات والتبليغ من أجلها وأعظمها)[٢].

– والنهي عن مجرد الوني في هذا المقام يتطلب الجلد والصبر وتحمل الصعاب على أداء الرسالة، فالأمر جد ولا مجال فيه للفتور أو التراخي، ووقوع النهي على الوني في (لا تنيا) أبلغ من وقوعه على التعب أو الضعف أو التقصير لأن الوني يعني الفتور وهو أول درجات التعب وما يعقبه من ضعف ثم تقصير (يقال : فتر جسمه أي لانت مفاصله وضعف)[٣] فالنهي عن الأقل يفهم منه ضمنا النهى عن الأكثر ومن ثم تفرد هذا الفعل بالأداء كما تفرد في القرآن كله لأن الموقف يتطلب ذلك.

(١) الكشاف: ٣/٦٥.
(٢) روح المعاني ١٦/١٩٤.
(٣) القاموس المحيط ـــ ونى.

(٣٣) (لَا يَبْلَىٰ) :

ورد في قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ طه: ١٢٠.

– والسياق هو قصة آدم عليه السلام مع إبليس في الجنة والمشهد هو إغراء الشيطان لآدم كي يأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الاقتراب منها، ويأتي الفعل في نهاية الآية التي يحض فيها إبليس آدم على الأكل منها حتى يضمن لنفسه الخلد الدائم إذ يلقي إليه بالاستفهام التحضيضي المغلف بالنصح حتى ينخدع به ويقبله وقد سبق أن رغب الله آدم بالخلد الحقيقي حين قال لآدم ﴿ فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع فيها و لا تعرى..الخ ﴾ ولذلك جاءه إبليس من هذه الزاوية نفسها وهي الرغبة في الخلود والملك الذي لا يبلى.

– وتأتي جملة الفعل المنفى صفة لهذا الملك إذ إن (نفي البلى من لوازم الخلود فذكره للتأكيد ولزيادة الترغيب)[١] ووصف الملك بأنه لا يبلى أبلغ من (لا ينفد – لا ينقص) لأن أيا من النفاد أو النقصان لا يعني البلى ولهذا أوثر التعبير بهذا الفعل هنا، وأحسب أنه لم يتكرر إلا في هذا الموضع ليناسب جو الخلود الذي يوسوس به الشيطان إلى آدم حتى يصدقه.

(٣٤) (يَدْمَغُهُ) :

ورد في قوله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ .... ﴾ الأنبياء: ١٨.

– والسياق تقرير حقيقة إلهية أزلية تغيب عن أذهان كثير من الناس وهي أن الحق هو الأصل الثابت في الحياة، وأن الجد هو عماد صلاحها، ومهما علا الباطل أو ساد اللهو فترة من فترات الضعف والانحلال، فإن الغلبة في النهاية تكون للحق فإن خلق السموات والأرض ونواميس الكون والنفس ليس لعبا ولا لهوا.

– والفعل (يدمغ) مضارع (دمغ) تقول (دمغ رأسه) إذا ضربه حتى وصلت الضربة إلى دماغه)[٢] فالدمغ إذن شج الرأس حتى تبلغ الشجة الدماغ.

(١) روح المعاني : ١٦/٢٧٤.
(٢) أساس البلاغة (دمغ).

- وتبدأ بلاغة الآية الكريمة من افتتاحها بـ(بل) التي تعني الإضراب عن اللهو واللعب السابقين في قوله تعالى: (... وما كنا لاعبين (١٦) **لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين (١٧))** ومن ثم فلا لعب ولا لهو بل تثبيت للحق ودحر للباطل،وبعد ذلك تعرض علينا صورة حسية حركية كأننا نشاهدها رأى العين: فالحق يتمثل في هيئة قذيفة صلبة تقذف على الباطل المتمثل في صورة دماغ رخو أجوف فيزهقه ويمحقه وقد ساعد التعبير بالمضارع في استحضار المشهد.

- وفي التعبير بـ(على) ما يوحي برفعة الحق وعلوه ليعطي ذلك الأمل للمستضعفين في انتصار الحق مهما طال الزمن.

- وتساعد (إذا) الفجائية في سرعة القذف وسرعة الدمغ وسرعة الزهق والمحق، وضمير الفصل (هو) للتأكيد على أن الباطل لا غيره (زاهق) واسم الفاعل للدلالة على ثبات صفة الزهوق ودوامها بعد دمغ الباطل، وختام الآية بالخبر التقريري (ولكم الويل مما تصفون) يفيد التحذير والتخويف من عاقبة الشك في غلبة الحق أو انتصار اللهو.

- ويتوافق تلك القوة القاهرة للحق المتمثلة في القذف والدمغ والإزهاق مع أحداث التاريخ وعبر القرون الخالية التي عرضتها الآيات السابقة لتصوير مصارع القوم الظالمين والتي تمثلت في القصم (وكم قصمنا من قرية..) (١١) والركض (... إذا هم منها يركضون) (١٢) والحصيد الخامد(حتى جعلناهم حصيدا خامدين) (١٥) ونضيف إلى ما سبق ملمحا بلاغيا آخر وهو أن الدماغ - كما هو معروف -عبارة عن مجموعة من (تلافيف) خلوية رخوة داخل تجويف الجمجمة، وهو محاط بعظام قوية ولكنها قابلة للشج إذا ضرب عليها بقوة، وهو - في رأيي - يشبه أصحاب الباطل الذين يبدون في ظاهرهم أقوياء متحصنين بالجاه ومتدرعين بالحول والطول بيد أن قلوبهم من الداخل خاوية أو كما وصفها الله في سورة إبراهيم(وأفئدتهم هواء ٤٣) وكما وصفها الشاعر:

- فأنت مجوف نخب هواء[١]

- إنها قلوب لا تصمد أمام قذيفة الحق الدامغة الزاهقة، ولهذا تفرد الفعل (يدمغ) في موضعه بهذا الإيحاء وتفرد في القرآن الكريم لأن السياق يقتضيه، ولأن هذا الموقف نفسه لم يتكرر في القرآن بهذه القوة وبهذا الحسم.

---

(١) انظر ديوان حسان بن ثابت صـ ٩ ط: دار صادر بيروت وتمام البيت هو:

ألا أبلغ أبا سفيان عني   فأنت مجوف نخب هواء

(٣٥) (يَكْلَؤُكُمْ):

ورد في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٢.

- والسياق هو استهزاء الكفار بمحمد صلى الله عليه وسلم واستعجالهم ليوم البعث والحساب وهم لو علموا ما سيلقونه من عذاب لا يستطيعون دفعه لما استعجلوه ، لأن الساعة تأتي بغتة ولا راد لها ولا تأجيل لميعادها، وهنا تأتي الآية موطن الشاهد في صورة استفهام توبيخي إنكاري لإعراضهم عن ذكر الله مع أنه لا إله غيره، يكلأهم ويحفظهم بالليل والنهار، وتقديم الليل على النهار هنا؛ لأن الإنسان يحتاج إلى الرعاية فيه أكثر من النهار بسبب الظلام الذي تحجب عنه الكوارث وبفعل النوم الذي تتعطل فيه المدارك على عكس النهار الذي يبصر فيه الإنسان ما حوله من أخطار فيتوقاها.

- والفعل (يكلأ) مشتق من الكلأ (بسكون اللام) وهو المنع والحراسة يقال : (الله يكلؤك، وتداركه بكلاءته، واكتلأت منه: احترست قال كعب بن زهير:

- أَنْخُتُ قَلُوصي واكْتَلأْتُ بعَينها   وآمَرْتُ نَفْسي أيَّ أمْرَيَّ أفْعَلُ

- أي احترست بعينها؛ لأنها إذا رأت شيئا ذعرت منه)[١] والكلأ (بفتح اللام) هو المرعى رطبا كان أم يابسا.

- وبهذه الدلالات اللغوية ينفرد الفعل في الآية الكريمة بمعاني رحبة تشمل حفظ الله ورعايته وحراسته كما تشمل رزقه للإنسان - فمن دون سواه قادر على ذلك؟ وفي لفظ (الرحمن) إشارة إلى رحمة الله الواسعة التي تعم المؤمنين والمشركين ليلا ونهارا. وفي الالتفات من ضمير المخاطبين في (يكلؤكم) إلى الغيبة في (عن ذكر ربهم) مزيد من التوبيخ والإنكار والاحتقار لهذا التصرف المشين من جانبهم وهو الإعراض عن الرحمن الكالئ الحافظ. وقد تكررت (بل) في هذا السياق ثلاث مرات هي على التوالي (بل تأتيهم بغتة) (٤١) (... بل هم عن ذكر ربهم معرضون) (٤٢) (بل متعنا هؤلاء وآباءهم..) (٤٤) وذلك للإضراب عن تقولات المشركين وتخرصاتهم ولتثبيت حقائق الإيمان بالله والبعث وبالقدرة المطلقة .

---

(١) أساس البلاغة (كلأ)

(٣٦) (تَذْهَلُ) :

ورد في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ. ﴾ الحج: ٢

- والسياق هو الحديث عن هول البعث وزلزلة الساعة وما تحدثه في الناس من فزع وذهول، والآية موطن الفعل(تذهل) تصور مشهدا من تلك المشاهد المفزعة يوم الهول الأكبر كأننا نراه ماثلا أمامنا فالمرضعة، وهي أشد ما تكون لصوقا بوليدها، تنشغل عنه وتنساه فلا تذكر ماهو. والحامل تسقط حملها مما يعتريها من الرهبة والخوف والناس مترنحون أشبه بالسكارى خوفا من عذاب الله.

- وبالتأمل في الفعل (تذهل) نجد أن الذهول في معاجم اللغة هو(شغل يورث حزنا ونسيانا)[١]، (ذهله ذهلا وذهولا:تركه على عهد أو نسيه لشغل)[٢] ولكي نتصور مشهد الذهول حيا متحسسا ؛ فإن علينا معرفة بلاغة التركيب على النحو التالي:

- إن المرضعة خلاف المُرضِع، فالأولى هي التي في حال الإرضاع ملقمة ثديها لوليدها، أما المرضع فهي التي من شأنها أن ترضع وإن لم تباشره.

- وإسناد الذهول في الآية إلى المرضعة بالتاء يدل على شدة الأمر وتفاقم الهول.[٣]

- إن من شأن (ما) الموصولة أن تكون لغير العاقل من الجماد والحيوان، ولكن التعبير بها هنا في (عما أرضعت) يوحي بأن الذهول قد فاق كل حد(بحيث لا يخطر ببالها أنه ماذا .. لأنها تعرف شيئيته لكن لا تدري من هو بخصوصه)[٤].

- التعبير بالمضارع في(ترونها - تذهل - وترى) يساعد على إبراز الصورة واستحضار المشهد المروع، ويؤدي بذلك هدف البلاغة القرآنية وهو التأثير في وجدان المتلقي.

- إن الصورة المعروضة في هذا المشهد هي على الحقيقة إن وقعت الزلزلة في الدنيا، وإلا فهي على سبيل التمثيل لأن الآخرة ليس فيها إرضاع ولا حمل ولا سكر، والمعنى حينئذ، أنه لو كان مثلها في الدنيا لحدث ذلك.

(١) المفردات في غريب القرآن ذهل.
(٢) القاموس المحيط :ذهل.
(٣) روح المعاني ١٦٢/١٧.
(٤) السابق

- وأخيرا فإن الفعل (تذهل) في موضعه يكتسب إلى جانب ميزة التفرد في القرآن ميزة أخرى هي امتداد أثره واتساع مداه ليشمل الذهول المرضعة فتترع ثديها من فم الرضيع، وبسبب الذهول تضعف مقاومة الأرحام على إمساك الجنين فتسقط الحامل جنينها قبل أوانه، وبسببه أيضا يبدو الناس كالسكارى من شدة الخوف من عذاب الله.

(٣٧) (يَسْطُونَ) :

ورد الفعل في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ ﴾ الحج: ٧٢).

- والسياق هو الحديث عن المشركين وما يضمرونه في نفوسهم وقلوبهم من الشر والحقد على القرآن والتالين له.

- والفعل (يسطون) مشتق من السطو وهو البطش برفع الأيدي (وأصله من: سطا الفرس إذا أقام على رجليه رافعا يديه)[١] واستعير للبطش والوثوب والغلبة.

- وتظهر بلاغة الفعل في مساعدته على استحضار صورة الكفار حين يسمعون القرآن وقد امتلأت صدورهم بمشاعر الكراهية وتشبعت نفوسهم بالرغبة في البطش، فتظهر ذلك على وجوههم تجهما و بسورا ،وكادوا يثبون على التالين للقرآن للفتك بهم.

- والتعبير بالمضارع في (يسطون) وما سبقه (تتلى عليهم - تعرف - يكادون) وما تبعه (يتلون - أفأنبئكم) هذا التعبير يبعث في الصورة الحياة وينشرها أمامنا كلما تليت، وكلما رأينا أشباه هؤلاء في الزمن الحاضر ممن يلجأون إلى القوة والبطش حين يوعظون بكلمة حق بدلا من التروي وإعمال الفكر ومقابلة الحجة بالحجة.

- والفعل (يسطون) في موضعه وفي مقامه متفرد بما رأيناه من إيحاءات. لا نجدها في فعل بديل.

(٣٨) (يَسْلُبْهُمُ) :

ورد في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن

(١) المفردات (سطو).

يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ الحج: ٧٣.

- وفي هـذا السياق ينفرد الفعل (يسلبهم) المسند إلى الذباب والمتبوع بالمضارع المنفي (لا يستنقذوه منه) ببيان ضعف الآلهة المدعاة من دون الله وعجزها عن الدفاع عـن نفسها أمام ذبابة صغيرة حقيرة بعد عجزهم مجتمعين في مقدمة الآية عن خلقها. والفعـل (يسلبهم) ليس مرادا على ظاهره فإن السلب في حقيقة هو أخذ الشيء عنوة، يقـال: سلبه متاعه إذا انتزعه منه قهرا وغلبة، والذباب لا ينتزع شيئا بقوة واغتصاب وإنمـا يختطف اختطافا، وكان يمكن أن يكون تعبير القرآن نحو(الاختطاف) ولكن السـياق يهـدف إلى إثبات عجز الآلهة التي يعبدونها من دون الله، فكان الأنسب من الألفاظ ما يؤدي معنى أن الذباب أقوى من هذه الآلهة حتى إنه يستلب منها ما يستلب عنوة وقهرا ويؤيد هذا عجز الآلهة عن استنقاذ ما يستلبه الذباب منها.(١)

- وسـط تلك الصورة التشخيصية الساخرة حيث يُدعى الناس إلى الاستماع إلى هـذا المثل المضروب، وحيث تجتمع كل الآلهة التي يتعبد بها الكفار فلا تستطيع خلق ذبابة، وبينما الذبابة الحقيرة تسلب منهم ومن غيرهم من الناس أعز ما يملكون وهم لا يستطيعون لها دفعا، وسط هذا التصوير الحي يظهر ضعف الطالب (وهو عابد غير الله) والمطلوب (وهو الآلهة) فكلاهما أضعف وأعجز من تلك الذبابة التي ضرب بها المثل.

(٣٩) (تَلْفَحُ) :

ورد في قوله تعالى: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ المؤمنون: ١٠٤.

- والسـياق هـو المقابلة بين المؤمنين وقد ثقلت موازينهم يوم القيامة ففازوا بـالفلاح و بين الكافرين وقد خفت موازينهم فخسروا أنفسهم وخلدوا في نار تلفح منهم الوجوه بلهيبها وتصيب وجوههم بالتشقق (١٠٢-١٠٥)

- وقـد أسـند اللفـح إلى الوجه مع أن النار تلفح الجسد كله؛ لأنه أشرف الأعضـاء، وموضـع الوجاهة والحسن في الإنسان وفي ذلك تهديد وتخويف من هذا المصـير، واختصاص تلك الآية بالفعل (تلفح) دون غيره من مثل (تحرق - تسفع) جاء

(١) التصوير الساخر في القرآن الكريم د. عبد الحليم حفني ١٣٣ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م.

مناسـبا للوجه الذي يتأثر بأقل حرارة لرقته، فاللفح هو الإحراق بالحرارة الصادرة عن النـار لا بالنـار نفسـها، وذلك - أيضا- يناسب الكلوح الوارد في ختام الآية، لأن الكلـوح كمـا يقـول صـاحب البحر المحيط هو (أن تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الأسنان)(١) إذ لو أحرق الوجه بالنار نفسها لزالت كل معالمه و لم تتحق تلك الكلوحة التي يقتضيها السياق هنا ؛ وإن صورة الوجه الوجه الكالح وقد لفحته النار بهذه الطريقة البشـعة صورة كريهة منفرة لكل من يراها أو يسمع عنها، وإن منظر عضلات الوجه وهـي تـتقلص وجلده وهو ينشمر بهذه الحركة المصورة منظر تنخلع له القلوب رهبة وخوفا ومن ثم يعاجل القرآن هؤلاء الكفار بعد ذلك بالسؤال التقريعي التوبيخي ﴿ ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ﴾ (٢)

(٤٠) (يَحِيفُ) :

ورد في قوله تعالى ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (النور: ٥٠).

- والسـياق هـو الحديث عن بعض أحوال المنافقين في المدينة وهو حديث ينطبق على المنافقين في كل زمان، فهم يرفضون الاحتكام إلى شرع الله إذا كانوا مذنبين لأن شـرع الله لا يعرف الهوى أو الانحراف، ولكن إذا كان الحق لهم أسرعوا إلى المطالبة بتحكيم شرع الله لعلمهم أنهم سيحصلون على حقهم (٤٨،٤٩).

- والفعـل (يحيف) يأتي ضمن أسلوب الاستفهام المتكرر ثلاث مرات وبأغراض متنوعة ففي (أفي قلوبهم مرض؟) استفهام تقريري، لأنه لا يسلك هذا السلوك المزدوج إلا من ثبت المرض في قلبه، وفي (أم ارتابوا ؟) استفهام للتعجب من ريبتهم وشكهم في عدالـة الله وفي (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ؟) للدهشة والاستنكار أيضا لأن الله لا يظلم أحدًا شيئا (بل أولئك هم الظالمون)

- والحـيف في اللغـة هو الجور والظلم ، أو هو الميل في الحكم والجنوح إلى أحد الجانبين، والفعل (يحيف) مناسب في مقام التعجب والاستنكار من خوفهم الظلم والميل

(١) البحر المحيط ٦/٤٢٢.

(٢) راجع (التعبير بالوجه في القرآن الكريم دراسة بلاغية) للباحث منشور في مجلة الدراسات الإسلامية، مركز البحوث الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد - العدد الأول - المجلد الخامس والثلاثون- يناير - ٢٠٠٠م .

والهوى ممن لا يخاف ذلك من جانبه جل وعلا وصلى الله عليه وسلم، ولم يتكرر الفعل لعدم تكرار الموقف في القرآن الكريم.

(٤١) (يَعْبَأْ) :

ورد في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾ ﴾ الفرقان: ٧٧.

– ورد الفعل في ختام سورة الفرقان بعد ما أثنى الله على عباد الرحمن وعدد صفاتهم ووعدهم بالدرجات العليا من الجنة .(٦٣-٧٧).

– والفعل منفي بـ (ما) نفيا صريحا إذا اعتبرنا (ما) نافية، وأما إذا اعتبرت للاستفهام فهو استفهام بلاغي الغرض منه النفي أيضا بمعنى أن الله سبحانه لا يعتد بأحد لا يدعو الله ولا يلجأ إليه، اذ إنه لولا دعاء الناس ربهم وإخلاصهم له في التوسل والرجاء لما كان هذا الاعتداد.

– والعبء – كما جاء في أساس البلاغة – هو الحمل الثقيل واستشهد له بقول تأبط شرا:

– قذف العبءَ عَلَيَّ وَوَلّى ... أنا بالعبءِ لهُ مُستَقِلُّ.

– والفعل بهذا المعنى يفيد الاهتمام والاستعداد، وهو ما يناسب مقام الربوبية القادرة المقتدرة التي تهتم وتعتد بالمخلصين من عباد الرحمن قدر اعتدادهم وتحملهم لتبعات الإيمان.

(٤٢) (تَذُودَانِ) :

ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ القصص: ٢٣.

– والسياق هو قصة موسى عليه السلام مع ابنتي شعيب[1] (٢٣-٢٨)

– والذود في اللغة السوق والطرد والدفع، يقال: ذاد الإبل عن الماء ذودا وذيادا ، وقد جاء الفعل المضارع هنا ليصور عملية التزاحم على الماء في البيئة الصحراوية كما

(١) هناك خلاف حول نسبة هاتين البنتين: أهما ابنتا شعيب النبي أم شعيب ابن أخيه أم أي شيخ كبير بظاهر النص (وأبونا شيخ كبير) ونميل مع سيد قطب: إلى الرأي الأخير.

يصور جانبا من ضعف ابنتي شعيب اللتين لم تقدرا على المزاحمة فلجأتا إلى دفع الغنم بعيدا حتى يخف الزحام، وقد عبر عن ذلك بالذود (تذودان) لأن استخدام البدائل الأخرى (كالدفع والطرد) يناسب الأشداء من الرجال بخلاف الذود حيث الجرس الصوتي فيه يتلاءم ورقة النساء إذ إن حروفه تغلب عليها الرخاوة وعدم التفخيم[1] ولم يتكرر الفعل في القرآن لعدم تكرار الموقف.

– ومن بلاغة السياق هنا حذف المفاعيل الأربعة للأفعال (يسقون – تذودان – لا نسقي – فسقى لهما) لأن الغرض الأصلي هو توفر العناية على إثبات الفعل مطلقا والمهم هنا – كما يقول عبد القاهر – (أن يعلم أنه كان من الناس في تلك الحال سقي ومن المرأتين ذود وأنهما قالتا: لا نسقي حتى يصدر الرعاء، وأنه كان من موسى عليه السلام – بعد ذلك – سقي ، فأما ما كان المسقي: أغنما أم إبلا أم غير ذلك فخارج عن الغرض وموهم خلافه).[2]

(٤٣) (تَنُوأُ) :

ورد في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ..... ﴿٧٦﴾ ﴾ القصص: ٧٦.

– والسياق هو الحديث عن قارون وما آتاه الله من كنوز كثيرة وضعها في خزائن لا تحصى لها مفاتيح بلغت من الكثرة والثقل ما تعيي بحمله العصبة من الرجال الأشداء حتى صارت كثرتها مضرب الأمثال.

– ويأتي الفعل (تنوء) في سياق المبالغة التي تغلف الآية كلها بما حوت من ألفاظ بجمع الكثرة (الكنوز- المفاتح- العصبة أولي القوة) ويصور الفعل (تنوء) الجماعة التي تحمل هذه المفاتيح وقد انحنت ظهورهم أو جوانبهم من فرط ثقلها، وإسناد النوء إلى المفاتيح لا إلى العصبة هو من باب القلب الذي يفيد المبالغة أيضا، إذا الأصل لتنوء بها العصبة أي تنهض بها بجهد ومشقة.

(١) (الذال) حرف احتكاكي رخو غير مفخم و(الواو) : شفوي تصف حركة و (الدال) أسناني لثوي غير مفخم أيضا (انظر الأصوات العربية ١٣٦).

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي صـ ١١١ط: ٣ مكتبة القاهرة – مصر ١٩٧٩.

(٤٤) (تَخُطُّ):

ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨﴾ العنكبوت: ٤٨.

– والسياق هو النهي عن مجادلة أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلا بالتي هي أحسن وإخبارهم بأننا نؤمن بالقرآن (بالذي أنزل إلينا) كما نؤمن بالتوراة والإنجيل (بالذي أنزل إليكم) (٤٦-٤٩).

– والآية تواجه الجاحدين بالقرآن وخاصة من أهل الكتاب الذين يعرفون من صفات محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، تواجههم بالدليل الساطع على أن هذا الكتاب من عند الله وليس من صنع محمد إذ إنه معروف بين ظهرانيهم وفي كتبهم أنه أمي لا يتلو كتابا ولا يخط بيمينه كلمة، وقد عبر عن الكتابة هنا بالخط وذلك بالفعل المنفي (ولا تخطه بيمينك) إذا التعبير بالخط هنا أبلغ لما فيه من التجسيم والتصوير الذي ينقل إليك صورة الخطوط وأنواعها من مسطوح ومستدير ومقوس ومال، كما أن الفعل (تخط) بتشديد الطاء وبما يوحي به صوتها الانفجاري المفخم يساعد على رسم الصورة فيكون أبلغ لأنه نفي لشيء واضح التصور وليس نفيا لشيء غائم مهوم، أما ذكر اليمين في قوله (بيمنك) فإنه لزيادة تصوير ما نفي عنه صلى الله عليه وسلم من القدرة على الكتابة، وهذا نظير ذكر العين في قولك (نظرت بعيني) لتحقيق الحقيقة وتأكيدها حتى لا يبقى للمجاز مجال) كما يقول الألوسي:[1] أو هو كما يقول الزمخشري (ألا ترى أنك إذا قلت في الإثبات، رأيت الأمير يخط هذا الكتاب بيمينه كان أشد لإثباتك أنه تولى كتابته فكذلك النفي).[2]

(٤٥) (تُصَعِّرْ):

ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨﴾ لقمان: ١٨.

(١) روح المعاني ٢١/٤.
(٢) الكشاف ٣/٤٥٨.

– وردت الآية في سياق وصايا لقمان لولده بالتوحيد ورعاية الأبوين والخشية من الله وإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم التكبر والاختيال (١٣-١٩)

– والصعر في الأصل (داء يأخذ الإبل في رؤوسها فتلتوي منه أعناقها)[1]

– والتعبير بتصعير الخد كناية عن صفة الكبر، والغرض البلاغي هنا هو الإشارة إلى أن الكبر مرض نفسي ينحرف بالنفوس السوية عن استقامتها واعتدالها. (وفي الفعل أيضا استعارة مكنية حيث شبه المتكبر بالبعير المصاب بداء الصعر بجامع لي العنق فيهما ثم حذف المشبه به ودل عليه بلازمه وهو الصعر. وتكمن بلاغة الاستعارة في التنفير مما يشبه الصعر وهو الكبر والتعالي كما أن ذلك يبقي صورة المتكبر الشائنة ماثله أمام كل من يتلو القرآن فيرعوي عنها وينفر منها).[2]

– وللفعل (تصعر) هنا من الدلالات ما ليس لغيره من مثل (ولا تمل خدك) أو (ولا ترفع خدك)، لأنه بانتقاله من أصله المعجمي إلى الإنسان قد اكتسب الإيحاء بالاستهزاء والسخرية من ذلك المتكبر الذي أزري بهيئته الحسنة وبقوامه المعتدل وأدخل نفسه في عالم الإبل المصابة بالصعر بعد أن كرمه الله وخلقه وسواه وعدله وركبه في أبهى صورة وأحسن تقويم.

– كما أن تشديد العين في (تصعر) يدل على المبالغة في اكتساب الفعل والتكلف فيه، وهذا يعكس شعورا نفسيا كاذبا بالتميز والتفوق والاختيال والفخر على بقية الناس والله لا يحب كل مختال فخور.

(٤٦) (تَتَجَافَى):

ورد في قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦﴾ السجدة: ١٦.

– والسياق هو مشهد المؤمنين الذين يهجرون فراشهم ومضاجعهم ويقومون الليل تهجدا وعبادة خوفا وطمعا وبيان ما أعد لهم من جنات المأوى جزاء هذا العمل الصالح

– (والتعبير عن قيام الليل بتجافي الجنوب عن المضاجع كناية لطيفة عن ترك النوم ومثلها قول عبد الله بن رواحة يصف النبي صلى الله عليه وسلم:

(١) لسان العرب: صعر.
(٢) التعبير بالوجه في القرآن الكريم ص ١١١.

– نَبِيٌّ تَجافَى جَنْبُهُ عن فراشه   إذا استثقلت بالمشركين المضاجع(١)

– واستخدام الفعل (تتجافى) بما فيه من معنى التفاعل والتجاذب بين طرفين يصور مجاهدة النفس ومقاومتها لإغراء المضاجع بالدعوة إلى الراحة والاستسلام للنوم في هذا الوقت من الليل ، وما كان لفعل آخر مثل (يقومون الليل – يسهرون) أن ينقل إلينا هذا المشهد المصور لحركة الجسد وصراع النفس ووجيب القلوب في آن واحد.

(٤٧) (يَزِفُّونَ) :

ورد هذا الفعل في قوله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ الصافات: ٩٤.

– والسياق هو سخرية إبراهيم عليه السلام من الأصنام التي اتخذها قومه آلهة يعبدونها من دون الله إفكا وزورا، ثم إقباله عليها بالتقريع والتوبيخ.

– ثم بالتكسير والتحطيم ومن ثم إقبال قومه بعد ذلك إليه، مسرعين يريدون الفتك به بعد أن عرفوا بأنه الفاعل .

– وقد اختار القرآن الكريم الفعل(يزفون) للتعبير عن حال تلك الجموع وهي تندفع إليه في سرعة وغضب للنيل منه جزاء فعلته تلك .

– ويدور المعنى المعجمي للفعل حول زفيف الظليم بمعنى إسراعه في العدو، وزفيف الريح: هبوبها بشدة،والزفة (بالضم) الزمرة، والزفزفة: تحريك الريح الحشيش وصوتها فيه... ويستفاد من ذلك أن الفعل (يزفون) يصور السرعة والاندفاع وهياج الجماعة وصياحها وغضبها واضطرابها ولذلك تفرد هذا الفعل في وصف هذا المشهد ، ولم يتكرر في قصة إبراهيم رغم تكرار المشهد في سورة أخرى هي (الأنبياء) وربما يرجع ذلك إلى قصر آيات (الصافات) وتتابعها في سرعة تتناسب وهذا الزفيف، حيث إن معظم آيات السورة مكونة من ثلاث كلمات أو أربع من مثل (فما ظنكم برب العالمين، فنظر نظرة في النجوم، فقال إني سقيم، فتولوا عنه مدبرين) ٨٨-٩٠ على حين تطول آيات الأنبياء في هذا المشهد، مثل (فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون، قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين، قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم(٥٨-٦٠).

---

(١) روح المعاني ٢١/١٣٠.

(٤٨) (أُفَوِّضُ) :

ورد الفعل في قوله تعالى : ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ (غافر ٤٤)

– والسياق هو الحديث عن رجل مؤمن من آل فرعون يخفى إيمانه انبرى للدفاع عن موسى عليه السلام بعد ما صمم فرعون على قتله (... ذروني أقتل موسى ..) ويسلك هذا الرجل سبلا شتى مع فرعون وملئه ليصرفهم عن قتله، وهي سبل تتنوع بين النصح والإرشاد والتهديد والوعيد ، وتتوسل بالمنطق والحجة ومحاولة الإقناع ثم يفوض الرجل أمره في النهاية إلى الله (اقرأ الآيات ٢٦-٤٤)

– ونلاحظ أن جرس الفعل (أفوض) بتضعيف العين يوحي بالتسليم المطلق ورد كل الأمور إلى الله، كما إنه يؤدى مالا يؤديه فعل آخر مثل (أترك) لأن التفويض يعني – بالإضافة إلى ترك الأمر ورده – أن المفوض إليه وكيل عن المفوض في الأداء ، فالرجل المؤمن عند ما قدم ما قدم من نصائح كان جزاؤه الوعيد بالقتل أيضا كما تروى كتب التفاسير(١) وفي مثل هذا الموقف يكون التفويض إلى القوة العليا هو الأنسب ولذلك كانت النتيجة طيبة وهي ما جاء في الختام (فوقاه الله شر ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب)

(٤٩) ﴿ولا تَنَابَزُوا﴾ (٥٠) ﴿ولا تَجَسَّسُوا﴾ :

ورد هذا الفعلان في آيتي سورة الحجرات المتتاليتين (١١-١٢) في قوله تعالى :
﴿... وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ﴾ وقوله تعالى: ﴿... إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾

– والسياق هو إرشاد المؤمنين إلى بعض الآداب الاجتماعية التي تساهم في بناء مجتمع فاضل يسوده الوئام ، والسورة – في مجملها – تدور حول الآداب الاجتماعية في المنظور الإسلامي.

– وفي هاتين الآيتين نهي عن السخرية من الآخرين ونهي عن اللمز والغمز والتداعي بالألقاب ، وأمر باجتناب الظنون السيئة والهواجس المرذولة تجاه الآخرين ونهى عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم المستورة وتنفير من الغيبة والنميمة وأمر بالتقوى الجامعة لكل الفضائل.

---

(١) انظر في ذلك البحر المحيط ٧/٤٦٨ والكشاف ٤/١٧٠.

– والتنابز هو التعاير والتداعي بالألقاب ، وقد خص عرفا بما يكرهه الشخص من الألقـــاب ، وصياغة الفعل علي التفاعل يوحي بأن الأمر لن يقتصر علي النابز فقط ، لأن مـــن نبزته سينبزك لذلك كان في النهي عن التنابز سلامة للمجتمع من مغبة إيغار الصدور وشحنها بالكراهية التي تتحول مع الزمن إلي عصبيات وحروب تعاني البشرية من ويلاتها في العصر الحاضر في إفريقيا وغيرها.

– وفي جـــرس الفعل ما يوحي بالتنافر والتباعد والتخاصم، ومن ثم جاء النهي عنه بمثابة نهي عما يورث في النفوس تلك المشاعر الكريهة.

– أمـــا التجســـس – بالجيم وبالحاء – وهما متقاربان: فهو البحث عن العورات والمعايـــب ، وقد نهي الإسلام عن ذلك منعا لإثارة الفتنة وحفاظا علي حق الإنسان المســـلم في الاحتفاظ بخصوصياته، وصياغة الفعل علي التفعّل يوحي بالمبالغة في التتبع والاستكشاف، ويذهب الألوسي إلي أن التجسس بالجيم: تتبع الظواهر وبالحاء : تتبع البـــواطن، وبذلـــك يكون النهي شاملا لأدنى محاولة للاقتراب من خصوصيات المسلم وتلك - لعمري - قمة في حقوق الإنسان لم ترق إليها الإنسانية في أزهى عصورها.

– ومـــن الملامـــح اللطيفة في هذا السياق أن النهي عن التنابز بالألقاب جاء عقب الـــنهي عن السخرية (**لا يسخر قوم من قوم...**) فكأنه أحد أدواتها ، كما أن النهي عـــن التجســـس جاء عقب الأمر باجتناب الظن (... **اجتنبوا كثيرا من الظن..**) فهو مترتـــب عليه ، لأن من يظن سوءا يحاول أن يتيقن من ظنه بالتجسس وهذا من بديع النسق القرآني.

(٥١) (يلفظ) :

ورد هذا الفعل في قوله تعالي : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝ ﴾ (ق :١٨)

– والســـياق هـــو الحديث عن رقابة الله تعالي لعبده ومعرفة ما يدور في خاطره و توســـوس بـــه نفسه، والتأكيد علي قرب الله تعالي من العبد ووضعه في رقابة ملكين يحصيان عليه كل شئ. (١٦– ١٨)

– وقـــد جاء الفعل (يلفظ) في إطار أسلوب القصر (ما وإلا) اللتين تفيدان حصر ألفاظ العبد وتسجيلها عليه. ويدل الفعل (يلفظ) بحروفه علي كل ما يتلفظ به الإنسان من جد القول وهزله فالإنسان محاسب علي كل ما يقول، ونظن أن إحاطة هذا الفعل بـــ(ما) عن يمين الفعل و (إلا) عن شماله شبيهة بإحاطة الملكين الموكلين به عن اليمين

وعـــن الشمال ، وذلك ليتناسب شكل الأسلوب القرآني مع معناه، ومن العجيب هنا أيضـــا أن القرآن الكريم ، وهو كلام الله الذي نتلوه بألفاظه – لم ترد فيه مادة (لفظ) إلا مـــرة واحـــدة منسوبة إلي العبد ولعل في هذا إشارة خفية إلي أن كلام الله بالمعني النفســـي صفة قديمة أما بالمعني اللفظي المنطوق فحادثة– هذا من ناحية – ومن ناحية أخرى لعل في ذلك ما يوحي بأن لفظة واحدة يتلفظها الإنسان قد تسعده وقد تشقيه فلـــيحرص العبد علي تخير ما يقول وليراجع نفسه قبل أن يكب في النار بسبب حصيد لسانه.

(٥٢) (تَحِيدُ) :

ورد هـــذا الفعـــل في قوله تعالي: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝ ﴾ (ق:١٩).

– والسياق هو مشهد الاحتضار ووصف سكرات الموت التي طالما كان العبد يفر مـــنها ويهرب. ومادة الفعل (حيد) تعني في المعجم (الميل عن الشيء والبعد عنه وفي قولهـــم (حيدي حياد) أمر بالحيدودة والروغان.[١] وصياغة الفعل من هذه المادة توحي بمحاولة الإنسان الحيدودة والروغان والهروب من الموت ومن كل ما يذكر به.

(٥٣) (يُوفِضُونَ) :

ورد في قولـــه تعـــالي: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝ ﴾ (المعارج ٤٣).

– والســـياق هـــو تهديد الكافرين الذين يخوضون ويلعبون مغترين بقولهم في الدنيا ورسم صورة لهم وقد لقوا يومهم الذي كانوا يوعدون فخرجوا من قبورهم يسرعون الخطي خاشعي الأبصار ترتسم علي وجوههم ملامح الذلة والإرهاق.

– والفعل (يوفضون) من (أوفض في سيره و استوفض إذا أسرع)[٢]

– (والإيفـــاض: الإسراع وأصله أن يعدو من عليه الوفضة وهي الكنانة تتخشخش علـــيه)[٣] وهـــذه المعـــاني نستطيع القول إن الفعل في موضعه من الآية والسياق يوحي بالعجلـــة المصحوبة بالجلبة والأصوات المختلطة كخشخشة السهام في الكنانة يجري بها

(١) أساس البلاغة (حيد).
(٢) اللسان (وفض)
(٣) المفردات (وفض) .

الخـــارب، وهو تعبير عن حال هؤلاء بالصورة المتحركة وبالصوت المسموع وهذا مالا يتوفر في مثل (يسرعون- يجرون - يعدون..الخ).

- ويشبه القرآن حركتهم السريعة لحظة الخروج من الأجداث بحركتهم السريعة في الدنيا وهم مقبلون على الأصنام (والإسراع إلى المعبودات الباطلة كان عادة المشركين ، وكـــذا عـــادة من ضل الطريق أن يسرع إلى أعلامها)[1] والغرض من هذا التشبيه هو السخرية والتهكم من اغترارهم في الدنيا واعتزازهم بمكانتهم (حين كانوا يسارعون إلى الأنصـــاب في الأعياد ويتجمعون حولها، فهاهم أولاء يسارعون اليوم ولكن شتان بين يوم ويوم).[2]

(٥٤) (تُحَرِّكْ) :

ورد الفعـــل منهيا عنه في قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾ القيامة: ١٦

- والسـياق هو الإيحاء للرسول صلى الله عليه وسلم بأن الله متكفل بحفظ القرآن وجمعـه وبـيان مراميه ومقاصده، فلا عليه من القلق، فإنما هو مبلغ فقط وذلك لأن الرســـول (كان إذا لقن القرآن نازع جبريل القراءة و لم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ، وخوفا من أن ينفلت منه)[3]

- وفي هـــذه الســـورة نهي الرسول عن ملاحقة جبريل أثناء الوحي، كما نهي عن ذلـك أيضـا في سورة (طه) ﴿ ... Çáæ ÃÏÚÈ ÃÃÑÞÃÇÈ ÃÃ ÃÈÞ ÃÃ ÃÖÞí ÃíÃÃ ÃíÝæ... ﴾ فـالموقف مـتكرر ولكن الفعل المنهي عنه هنا تحريك اللســـان، أما المنهي عنه في سورة طه فهو العجلة، والفرق بينهما كبير لأن النهي عن مجرد التحريك أبلغ وأدق من النهي عن مطلق العجلة، وهو كذلك أدعى إلى الإنصات التـام للوحـــي، ولهذا تفرد الفعل (تحرك) بدقة الأداء في هذا المقام، زيادة في طمأنة الرسول على مستقبل القرآن إذ هو محفوظ بعناية الله وحده.

(١) روح المعاني ٧٥/٢٩
(٢) في ظلال القرآن ٣٧٠٣/٦
(٣) الكشاف ٦٦١/٤

(٥٥) (يَتَغَامَزُونَ) :

ورد الفعل في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ المطففين : ٣٠.

- والسياق هو التقابل القرآني بين ما كان يفعله المجرمون في حق المؤمنين في الدنيا، وبين ما آلوا إليه في الآخرة.

- إنهـــم كـــانوا يســـخرون منهم بالضحك عليهم تارة وبالإشارة القبيحة إليهم بـــالأعين[1] وبـــالأيدي تـــارة أخـــرى، فإذا هم أنفسهم في الآخرة موضع السخرية والضحك من قبل المؤمنين والجزاء من جنس العمل (٢٩-٣٦) والفعل مشتق من الغمز وهـــو الإشارة بالجفن أو باليد طلبا إلى ما فيه معاب ومنه قيل: ما في فلان غميزة أي نقيصة يشار إليها.[2]

- واختـــيار هـــذا الفعل وتفرده في هذا المقام ضرب من الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم لأن الفعل يصور بالإشارة الحركية بالعين أو باليد، ما يغني عن التعبير بجمل قد تطول أو تقصر لوصف الاستهزاء والتهكم اللذين يطلقهما الكفار على المؤمنين، كما إن الفعل ينقل إلينا المشهد لنراه مجسما أمامنا معبرا - في الوقت نفسه- عن حالة واقعية ما زلنا نراها من بعض الناس.

(٥٦) (لَنَسْفَعَنْ) :

ورد الفعل في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ ﴾ العلق: ١٥).

- والسياق هو الحديث عن جانب مما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يلاقيه من عنـت وأذى مـن سادة قريش وخاصة أبي جهل وهو سياق يصلح لكل جبار يعطل شعائر الله في الأرض (راجع الآيات ٩-١٩) وقد جاء الفعل (لنسفعن) مؤكدا باللام وبالنون للتهديد والوعيد .

- وبالـــرجوع إلى المعنى المعجمي للفعل نجد أنه يفيد (الجذب بشدة)، يقال: سفع بناصية فرسه إذا جذبه، قال معدي كرب:

(١) راجع (لغة العين في القرآن الكريم دراسة بلاغية) للباحث ص ١٥٤ مجلة الدراسات الإسلامية عدد ٣ مجلد ٣٤ سبتمبر ١٩٩٩ مجمع البحوث الإسلامية الجامعة الإسلامية العالمية / إسلام آباد
(٢) المفردات: (غمز) .

- قوم إذا كَثُرَ الصِّيَاح رأيتهم ما بين مُلْجِم مُهْرِه أو سافِع[1]

- وفي التعبير كناية عن سحبه إلى النار(وتتجلى أهمية الكناية في القرآن الكريم في أنها وسيلة للتعبير الإيحائي وحرص القرآن عليها لإيصال مفاهيمه بلمحات دالة تغني عن الشرح والتفصيل في المواضع التي تستوجب الإشارة إلى ما ينبو طبع الإنسان عن ذكره).[2] وبالاضافة إلى الكناية فإن في (الناصية) مجازا مرسلا علاقته الجزئية ، وهو يفيد الإهانة والسخرية ، إذ يؤخذ هذا السيد من مقدم رأسه - حيث جبهته وهي رمز العلو والاستكبار - و يجذب جسده كله إلى النار تسفعه وتلفحه لأن من معاني السفع أيضا :(اللفح بالنار)[3] ثم توصف تلك الناصية بالكذب والخطأ على سبيل المجاز الإسنادي (العقلي) لأن الكذب والخطأ(في الحقيقة لصاحبها، وفي ذلك من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ)[4] وفي هذه التعبيرات المجازية ترتسم روح السخرية اللاذعة على المشهد كله فيشفي قلب الرسول ويطمئن كل مؤمن إلى أن الله ناصر الحق مهما تجمع نادي الباطل (فليدع نادية سندع الزبانية) فليثبت أنصار الحق على طريقهم وليرفضوا كل دعاوي المعصية والفساد وليتقربوا إلى الله بالطاعة والعبادة(كلا لا تطعه واسجد واقترب) والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

(١) روح المعاني ٣٠/٢١٥

(٢) الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم د. محمد كريم الكواز ٢٦٢ ط: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية / ليبيا

(٣) أساس البلاغة: (سفع) .

(٤) الكشاف : ٧٧٨

خاتمة

بعد هذا الطواف حول الأسرار البلاغية للمضارع الفذ في القرآن الكريم ، يتضح لنا أن العامل الأهم والأغلب وراء هذا التفرد هو سياق كل فعل أو مقامه الذي يقتضي مجيء هذا الفعل أو ذاك ببنيته الصوتية والصرفية وبالنظم الذي ورد فيه ، إذ إنه بهذه الصفة يؤدى من المعاني والتأثير والجمال الفني مالا يؤديه غيره ، وأنه - وللسبب نفسه - لم يتكرر مرة أخرى، إما لأن الموقف لم يتكرر وهذا ما لاحظناه في معظم الأفعال أو لأن الموقف قد تكرر ولكن السياق أو المقام اختلف في بعض التفاصيل التي كانت سببا في اختيار فعل آخر كما رأينا - مثلا في الفعل رقم - ٢٣ (يتجرعه) ورقم - ٢٦ (لأحتنكن) ورقم - ٥٤ (لا تحرك به لسانك).

وآمل أن يمكنني الله أو يمكن غيري من الباحثين من إكمال الكشف عن أسرار الفرائد الفذة كلها في القرآن الكريم.

مراجع البحث

أولا: القرآن الكريم

ثانيا:

١) أساس البلاغة - الزمخشري - ط : دار الفكر - بيروت - ١٩٨٩.

٢) الأسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم - د. محمد كريم الكواز ط: جمعية الدعوة الإسلامية - ليبيا.

٣) الأصوات العربية - د. كمال بشر - ط: مكتبة الشباب - القاهرة - ١٩٨٧.

٤) أمـالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) - الشريف المرتضى ت : محمد أبو الفضل إبراهيم - ط: الحلبي - مصر ١٩٥٤م.

٥) الانتصاف (حاشية علي الكشاف) - أحمد بن المنير الإسكندري .

٦) تحريـر التحبير - ابن أبي الإصبع المصري - ت : د. حفني شرف ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٩٨٣ .

٧) التصـوير السـاخر في القرآن الكريم - د. عبد الحليم حفني ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٩٢م.

٨) التصوير الفني في القرآن الكريم - سيد قطب - دار الشروق .

٩) التعـبير بالوجه في القرآن الكريم - د.كمال عبد العزيز (بحث منشور في مجلة الدراسـات الإسلامية - العدد الأول - المجلد : الخامس والثلاثون - يناير ٢٠٠٠ مجمع البحوث الإسلامية - الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد - باكستان.

١٠) تفسـير الـبحر المحـيط - محمد بن يوسف - الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ط٢- دار الفكر- بيروت -١٩٨٢م.

١١) تفسـير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) القاضي البيضاوي - المكتبة الإسلامية - دياربكر - تركيا.

١٢) تفسير التحرير والتنوير - الطاهر بن عاشور - الدار التونسية للنشر.

١٣) تفسـير النهر الماد من البحر - أبو حيان الأندلسي (هامش علي تفسير البحر المحيط ط: دار الفكر - بيروت -١٩٨٢م.

١٤) تفسير وبيان القرآن الكريم - محمد الحمصي - دار الرشيد - دمشق.

١٥) الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه - محمود صافي ط١ - الرشيد - دمشق -١٩٩١ - نسخة مصورة في إيران.

١٦) حاشـية محيي الدين شيخ زادة – علي تفسير البيضاوي – المكتبة الإسلامية – ديار بكر – تركيا.
١٧) الخصائص – ابن جني – ت : محمد علي النجار – ط : بيروت .
١٨) دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – ت: محمود شاكر – ط: الخانجي – القاهرة – ونسخة أخرى – تحقيق : خفاجي ط٣- مكتبة القاهرة – ١٩٧٩م.
١٩) دور الكـلمة في اللغـة – ستيفن أولمان – ترجمة د. كمال بشر ط: مكتبة الشباب – مصر.
٢٠) ديـوان أبي نـواس (الحسن بن هانئ) ت: أحمد عبد المجيد الغزالي ط : دار الكتاب العربي – بيروت ١٩٨٤م.
٢١) ديوان امرئ القيس – دار صادر – بيروت .
٢٢) ديوان حسان بن ثابت – دار صادر – بيروت.
٢٣) رسالة بيان إعجاز القرآن – الخطابي – ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – ت: محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام ط: دار لمعارف – مصر.
٢٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي البغدادي نسخة مصورة في (ملتان – باكستان) عن ط : دار الفكر – بيروت.
٢٥) شـرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع. صفي الدين الحلى – ت : د.نسيب نشاوى – دمشق ١٩٨٣.
٢٦) شـرح عقـود الجمان في علم المعاني والبيان – السيوطي ط :الحلبي – مصر ١٩٣٩م
٢٧) علم اللغة – د. محمود السعران – ط : دار الفكر – مصر – ١٩٩٢م.
٢٨) في ظلال القرآن – سيد قطب – ط(١١) دار الشروق – مصر ١٩٨٥.
٢٩) القاموس المحيط : الفيروزآبادي – دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣٠) الكشـاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل – الزمخشري – نسخة مصورة في مكتب الدعوة الإسلامي – قم – إيران.
٣١) لسان العرب – ابن منظور – ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر.
٣٢) لغـة العين في القرآن الكريم – دراسة بلاغية – د. كمال عبد العزيز- بحث منشور في مجلة الدراسات الإسلامية – العدد (٣) مجلد(٣٤) سبتمبر ١٩٩٩.
٣٣) المزهر في علوم اللغة وأنواعها – السيوطي ت: محمد أحمد جاد المولى وآخرين – ط: الحلبي . مصر.

٣٤) معجم النقد العربي القديم – د. أحمد مطلوب – بغداد ١٩٨٩.
٣٥) المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية – مصر.
٣٦) المفـردات في غريـب القرآن – الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد) ت: محمد سيد كيلاني – نسخة مصورة في كراتشي – باكستان.

ملحق بالبحث

قائمة بألفاظ الفرائد الفذة في القرآن الكريم وعددها (٣٨٦ لفظًا)

أولا : الفعل المضارع : (٥٦)

م	الفعل	السورة	رقم الآية
١	ينعق	البقرة	١٧١
٢	يؤوده	"	٢٥٥
٣	يتسنه	"	٢٥٩
٤	تغمضوا	"	٢٦٧
٥	يتخبط	"	٢٧٥
٦	تدخرون	آل عمران	٤٩
٧	تعولوا	النساء	٣
٨	ليبطئن	"	٧٢
٩	يستنبطونه	"	٨٣
١٠	ليبتكن	"	١١٩
١١	يتيهون	المائدة	٢٦
١٢	يبحث	"	٣١
١٣	ينفوا	"	٣٣
١٤	يجره	الأعراف	١٥٠
١٥	تشمت	"	١٥٠
١٦	يضاهئون	التوبة	٣٠
١٧	تكوى	"	٣٥
١٨	يجمحون	"	٧٥
١٩	تزدري	هود	٣١
٢٠	يرتع	يوسف	١٢

٢١	تفتأ	"	٨٥
٢٢	تفندون	يوسف	٩٤
٢٣	يتجرع	إبراهيم	١٧
٢٤	تفضحون	الحجر	٦٨
٢٥	فسينغضون	الإسراء	٥١
٢٦	لأحتنكن	"	٦٢
٢٧	أعيبها	الكهف	٧٩
٢٨	تبيد	"	٣٥
٢٩	ينقض	"	٧٧
٣٠	تؤزهم	مريم	٨٣
٣١	أهش	طه	١٨
٣٢	لا تنيا	"	٤٢
٣٣	يبلى	"	١٢٠
٣٤	يدمغه	الأنبياء	١٨
٣٥	يكلؤكم	"	٤٢
٣٦	تذهل	الحج	٢
٣٧	يسطون	"	٧٢
٣٨	يسلبهم	"	٧٣
٣٩	تلفح	المؤمنون	١٠٤
٤٠	يحيف	النور	٥٠
٤١	يعبأ	الفرقان	٧٧
٤٢	تذودان	القصص	٢٣
٤٣	تنوء	"	٧٦
٤٤	تخطه	العنكبوت	٤٨
٤٥	تصعر	لقمان	١٨
٤٦	تتجافى	السجدة	١٦

٤٧	يزفون	الصافات	٩٤
٤٨	وأفوض	غافر	٤٤
٤٩	تنابزوا	الحجرات	١١
٥٠	تجسسوا	الحجرات	١٢
٥١	يلفظ	ق	١٨
٥٢	تحيد	"	١٩
٥٣	يوفضون	المعارج	٤٣
٥٤	تحرك	القيامة	١٦
٥٥	يتغامزون	المطففين	٣٠
٥٦	لنسفعن	العلق	١٥

ثانيا : الفعل الماضي (٤٦)

م	الفعل	السورة	رقم الآية
٥٧	ربحت	البقرة	١٦
٥٨	أفضى	النساء	٢١
٥٩	نضجت	"	٥٦
٦٠	أذاعوا	"	٨٣
٦١	ذكيتم	المائدة	٣
٦٢	سكت	الأعراف	١٥٤
٦٣	فانبجست	"	١٦٠
٦٤	نتقنا	"	١٧١
٦٥	فثبطهم	التوبة	٤٦
٦٦	انهار	"	١٠٩
٦٧	حصحص	يوسف	٥١
٦٨	غلقت	"	٢٣
٦٩	شغفها	"	٣٠
٧٠	اجتثت	إبراهيم	٢٦
٧١	فجاسوا	الإسراء	٥
٧٢	كلما خبتْ	الإسراء	٩٧
٧٣	اشتعل	مريم	٤
٧٤	وعنت الوجوه	طه	١١١
٧٥	قصمنا	الأنبياء	١١
٧٦	ففتقناهما	"	٣٠
٧٧	ففهّمناها	"	٧٩
٧٨	وجبت	الحج	٣٦
٧٩	كبكبوا	الشعراء	٩٤

م	الفعل	السورة	رقم الآية
٨٠	تبسم	النمل	١٩
٨١	أتقن	"	٨٨
٨٢	وكز	القصص	١٥
٨٣	سلقوكم	الأحزاب	١٩
٨٤	مسخ	يس	٦٧
٨٥	تلّ	الصافات	١٠٣
٨٦	أبق	"	١٤٠
٨٧	ساهم	"	١٤١
٨٨	صك	الذاريات	٢٩
٨٩	أكدى	النجم	٣٤
٩٠	بسّ	الواقعة	٥
٩١	تحرّوا	الجن	١٤
٩٢	أغطش	النازعات	٢٩
٩٣	دحاها	"	٣٠
٩٤	انكدرت	التكوير	٢
٩٥	عسعس	التكوير	١٧
٩٦	ران	المطففين	١٤
٩٧	سُطِحَتْ	الغاشية	٢٠
٩٨	جابوا	الفجر	٩
٩٩	ألهم	الشمس	٨
١٠٠	دمدم	"	١٤
١٠١	سجى	الضحى	٢
١٠٢	حصل	العاديات	١٠

ثالثا : فعل الأمر (٨)

م	الفعل	السورة	رقم الآية
١٠٣	فصُرهنّ	البقرة	٢٦٠
١٠٤	فشرّد	الأنفال	٥٧
١٠٥	ابلعي	هود	٤٤
١٠٦	أقلعي	"	١٢
١٠٧	اخلع	طه	١٢
١٠٨	تبتّل	المزمّل	٨
١٠٩	تفسحوا	المجادلة	١١
١١٠	انحر	الكوثر	٢

رابعا : أسماء الأفعال (٣)

م	الفعل	السورة	رقم الآية
١١١	هيت لك	يوسف	٢٣
١١٢	هيهات	المؤمنون	٣٦
١١٣	هاؤم	الحاقة	١٩

خامسا : الأسماء (٢٧٣)

م	الفعل	السورة	رقم الآية
م	الفعل	السورة	رقم الآية
١١٤	أبّا	عبس	٣١
١١٥	خمط	سبأ	١٧
١١٦	أثل	"	١٧
١١٧	إدا	مريم	٨٩
١١٨	إرم	الفجر	٧
١١٩	آسن	محمد	١٥
١٢٠	أمتا	طه	١٠٧
١٢١	الأنام	الرحمن	١٠
١٢٢	الأيامى	النور	٣٢
١٢٣	بابل	البقرة	١٠٢
١٢٤	هاروت	"	١٠٢
١٢٥	ماروت	"	١٠٢
١٢٦	بئر	الحج	٤٥
١٢٧	الأبتر	الكوثر	٣
١٢٨	باسقات	ق	١٠
١٢٩	بقل	البقرة	٦١
١٣٠	فوم	"	٦١
١٣١	عدس	"	٦١
١٣٢	بصل	"	٦١
١٣٣	بعوضة	"	٢٦
١٣٤	البغال	النحل	٨
١٣٥	البقعة	القصص	٣٠

١٣٦	بكة	آل عمران	٣٦
١٣٧	تفثهم	الحج	٢٩
١٣٨	التين	التين	١
١٣٩	ثبات	النساء	٧١
١٤٠	تثريب	يوسف	٩٢
١٤١	الثرى	طه	٦
١٤٢	ثيبات	التحريم	٥
١٤٣	الجبت	النساء	٥١
١٤٤	جذوة	القصص	٢٩
١٤٥	جرف	التوبة	١٠٩
١٤٦	هار	التوبة	١٠٩
١٤٧	جُفاء	الرعد	١٧
١٤٨	جفان	سبأ	١٣
١٤٩	كالجواب	"	١٣
١٥٠	جامدة	النمل	٨٨
١٥١	جما	الفجر	٢٠
١٥٢	جوف	الأحزاب	٤
١٥٣	جو	النحل	٧٩
١٥٤	جيد	المسد	٥
١٥٥	مسد	"	٥
١٥٦	الحبك	الذاريات	٧
١٥٧	حتما	مريم	٧
١٥٨	حثيثا	الأعراف	٥٤
١٥٩	حدب	الأنبياء	٩٦
١٦٠	حرسا	الجن	٨
١٦١	حسوما	الحاقة	٧

١٦٢	صرعى	"	٧
١٦٣	حفدة	النحل	٧٢
١٦٤	الأحقاف	الأحقاف	٢١
١٦٥	الحلقوم	الواقعة	٨٣
١٦٦	حنيذ	هود	٦٩
١٦٧	حوبا	النساء	٢
١٦٨	حيران	الأنعام	٧١
١٦٩	متحرف	الأنفال	١٦
١٧٠	الخبء	النمل	٢٥
١٧١	خبز	يوسف	٣٢
١٧٢	ختار	لقمان	٣٢
١٧٣	الخرطوم	القلم	١٦
١٧٤	خشب	المنافقون	٤
١٧٥	مسندة	"	٤
١٧٦	مخضود	الواقعة	٢٨
١٧٧	المنخنقة	المائدة	٣
١٧٨	الموقوذة	"	٣
١٧٩	النطيحة	"	٣
١٨٠	الخيام	الرحمن	٧٢
١٨١	المدثر	المدثر	١
١٨٢	دراهم	يوسف	٢٠
١٨٣	دسر	القمر	١٣
١٨٤	دفء	النحل	٥
١٨٥	دافق	الطارق	٦
١٨٦	دلوك	الإسراء	٨٧
١٨٧	دينار	آل عمران	٧٥

١٨٨	أدهى	القمر	٤٦
١٨٩	دهاقا	النبأ	٣٤
١٩٠	مدهامتان	الرحمن	٦٥
١٩١	مذؤوما أو مذموما	الإسراء	١٨
١٩٢	مذبذبين	النساء	١٤٣
١٩٣	مذعنين	النور	٤٩
١٩٤	رتقا	الأنبياء	٣٠
١٩٥	رجا	الواقعة	٤
١٩٦	رحيق	المطففين	٢٥
١٩٧	رخاء	ص	٣٦
١٩٨	ردما	الكهف	٩٥
١٩٩	مرصوص	الصف	٤
٢٠٠	مراغما	النساء	١٠٠
٢٠١	الرفد	هود	٩٩
٢٠٢	رفرف	الرحمن	٧٦
٢٠٣	رقّ	الطور	٣
٢٠٤	رواكد	الشورى	٣٢
٢٠٥	ركزا	مريم	٩٨
٢٠٦	رماحكم	المائدة	٩٣
٢٠٧	رماد	إبراهيم	١٨
٢٠٨	رمزا	آل عمران	٤١
٢٠٩	رمضان	البقرة	١٨٥
٢١٠	رهوا	الدخان	٢٤
٢١١	الروع	هود	٧٤
٢١٢	الروم	الروم	٢
٢١٣	ريشا	الأعراف	٢٦
٢١٤	ريع	الشعراء	١٢٨
٢١٥	الزبانية	العلق	١٨
٢١٦	زحفاً	الأنفال	١٥
٢١٧	زرابي	الغاشية	١٦
٢١٨	زرقا	طه	١٠٢
٢١٩	المزّمل	المزمل	١
٢٢٠	زمهريرا	الإنسان	١٣
٢٢١	زنجبيلا	"	١٧
٢٢٢	زنيم	القلم	١٣
٢٢٣	زاهدين	يوسف	٢٠
٢٢٤	زهرة	طه	١٣١
٢٢٥	الزاد	البقرة	١٩٧
٢٢٦	الساحل	طه	٣٩
٢٢٧	سدى	القيامة	٣١
٢٢٨	السرد	سبأ	١١
٢٢٩	سرادق	الكهف	٢٩
٢٣٠	مسغبة	البلد	١٦١
٢٣١	طلح	الواقعة	٣١
٢٣٢	مسكوب	"	٣١
٢٣٣	سامدون	النجم	٦١
٢٣٤	سمكها	النازعات	٢٨
٢٣٥	تسنيم	المطففين	٢٧
٢٣٦	الساهرة	النازعات	١٤
٢٣٧	سهولا	الأعراف	٧٤
٢٣٨	ساحة	الصافات	١٧٧

٢٣٩	سوط	الفجر	١٣
٢٤٠	سائبة	المائدة	١٠٣
٢٤١	شرذمة	الشعراء	٥٤
٢٤٢	أشراطها	محمد	١٨
٢٤٣	شفتين	البلد	٩٠
٢٤٤	متشاكسون	الزمر	٢٩
٢٤٥	شامخات	المرسلات	٢٧
٢٤٦	شوب	الصافات	٦٧
٢٤٧	شواظ	الرحمن	٣٥
٢٤٨	ذات الشوكة	الأنفال	٧
٢٤٩	الصاخة	عبس	٣٣
٢٥٠	صرعى	الحاقة	٧٠
٢٥١	صفصفا	طه	١٠٦
٢٥٢	الصافنات	ص	٣١
٢٥٣	صلدا	البقرة	٢٦٤
٢٥٤	صامتون	الأعراف	١٩٣
٢٥٥	الصمد	الإخلاص	٢
٢٥٦	صوامع	الحج	٤٠
٢٥٧	صنوان	الرعد	٤
٢٥٨	صواع	يوسف	٧٢
٢٥٩	أصواف	الأنعام	٨٠
٢٦٠	أوبار	"	٨٠
٢٦١	صياصيهم	الأحزاب	٢٦
٢٦٢	الشتاء	قريش	٢
٢٦٣	الصيف	"	٢
٢٦٤	الضأن	الأنعام	١٤٣

٢٦٥	المعز	"	١٤٣
٢٦٦	ضبحا	العاديات	١
٢٦٧	ضدا	مريم	٨٢
٢٦٨	ضامر	الحج	٢٧
٢٦٩	ضنكا	طه	١٢٤
٢٧٠	ضنين	التكوير	٢٤
٢٧١	لا ضير	الشعراء	٥٠
٢٧٢	ضيزى	النجم	٢٢
٢٧٣	المطففين	المطففين	١
٢٧٤	منضود	الواقعة	٢٩
٢٧٥	الطامة	النازعات	٣٤
٢٧٦	الطود	الشعراء	٦٣
٢٧٧	ظعنكم	النحل	٨٠
٢٧٨	عبقري	الرحمن	٧٦
٢٧٩	العرجون	يس	٣٩
٢٨٠	العرم	سبأ	١٦
٢٨١	عزين	المعارج	٣٧
٢٨٢	عسل	محمد	١٥
٢٨٣	عضين	الحجر	٩١
٢٨٤	عطفه	الحج	٩
٢٨٥	عفريت	النمل	٣٩
٢٨٦	عميق	الحج	٢٧
٢٨٧	العنكبوت	العنكبوت	٤١
٢٨٨	المعوقين	الأحزاب	١٨
٢٨٩	التغابن	التغابن	٩
٢٩٠	غدقا	الجن	١٦

٢٩١	غزل (غزلها)	النحل	٩٢
٢٩٢	غزّى	آل عمران	١٥٦
٢٩٣	غصبا	الكهف	٧٩
٢٩٤	غصة	المزمل	١٣
٢٩٥	غوْل	الصافات	٤٧
٢٩٦	فجوة	الكهف	١٧
٢٩٧	فرث	النحل	٦٦
٢٩٨	فرعها	إبراهيم	٢٤
٢٩٩	فارهين	الشعراء	١٤٩
٣٠٠	تفسيرا	الفرقان	٣٣
٣٠١	أفصح	طه	٣٤
٣٠٢	انفصام	البقرة	٢٥٦
٣٠٣	فظا	آل عمران	١٥٩
٣٠٤	فاقع	البقرة	٦٩
٣٠٥	فلانا	الفرقان	٢٨
٣٠٦	أفنان	الرحمن	٤٨
٣٠٧	فان	"	٢٦
٣٠٨	الفيل	الفيل	١
٣٠٩	المقبوحين	القصص	٤٢
٣١٠	قريش	قريش	١
٣١١	قسورة	المدثر	٥١
٣١٢	قسيس	المائدة	٨٢
٣١٣	قاصفا	الإسراء	٧٩
٣١٤	قضبا	عبس	٢٨
٣١٥	قطّنا	ص	١٦
٣١٦	قطمير	فاطر	١٣

٣١٧	منقعر	القمر	٢٠
٣١٨	أقفالها	محمد	٢٤
٣١٩	مقمحون	يس	٨
٣٢٠	قمطريرا	الإنسان	١٠
٣٢١	مقامع	الحج	٢١
٣٢٢	والقُمَّل	الأعراف	١٣٣
٣٢٣	قنوان	الأنعام	٩٩
٣٢٤	قوسين	النجم	٩
٣٢٥	كبد	البلد	٤
٣٢٦	كثيبا	المزمل	١٤
٣٢٧	كدح	الانشقاق	٦
٣٢٨	كسادها	التوبة	٢٤
٣٢٩	كفوا	الإخلاص	٤
٣٣٠	كفاتا	المرسلات	٢٥
٣٣١	كنود	العاديات	٦
٣٣٢	لحن	محمد	٣٠
٣٣٣	إلحافا	البقرة	٢٧٣
٣٣٤	بلحيتي	طه	٩٤
٣٣٥	لازب	الصافات	١١
٣٣٦	الألقاب	الحجرات	١١
٣٣٧	لواقح	الحجر	٢٢
٣٣٨	لواذا	النور	٦٣
٣٣٩	المجوس	الحج	١٧
٣٤٠	المخاض	مريم	٢٣
٣٤١	المزن	الواقعة	٦٩
٣٤٢	أمشاج	الإنسان	٢

٣٤٣	المعز	الأنعام	١٤٣
٣٤٤	أمعاءهم	محمد	١٥
٣٤٥	ميكال	البقرة	٩٨
٣٤٦	مكة	الفتح	٢٤
٣٤٧	مُكاء	الأنفال	٣٥
٣٤٨	النجدين	البلد	١٠
٣٤٩	نجس	التوبة	٢٨
٣٥٠	نحبه	الأحزاب	٢٣
٣٥١	نخرة	النازعات	١١
٣٥٢	نشطا	"	٢
٣٥٣	نضاختان	الرحمن	٦٦
٣٥٤	نعليك	طه	١٢
٣٥٥	النفاثات	العلق	٤
٣٥٦	نفحة	الأنبياء	٤٦
٣٥٧	نقعًا	العاديات	٤
٣٥٨	نمارق	الغاشية	١٥
٣٥٩	نميم	القلم	١١
٣٦٠	منهاجا	المائدة	٤٨
٣٦١	التناوش	سبأ	٥٢
٣٦٢	مناص	ص	٣
٣٦٣	ذا النون	الأنبياء	٨٧
٣٦٤	النوى	الأنعام	٩٥
٣٦٥	هربا	الجن	١٢
٣٦٦	الهزل	الطارق	١٤
٣٦٧	هلوعا	المعارج	١٩
٣٦٨	هامدة	الحج	٥

٣٦٩	منهمر	القمر	١١
٣٧٠	همسا	طه	١٠٨
٣٧١	مهيلا	المزمل	١٤
٣٧٢	الموءودة	التكوير	٨
٣٧٣	موئلا	الكهف	٥٨
٣٧٤	الوحوش	التكوير	٥
٣٧٥	سِنَة	البقرة	٢٥٥
٣٧٦	شية	"	٧١
٣٧٧	موضونة	الواقعة	١٥
٣٧٨	وطرا	الأحزاب	٣٧
٣٧٩	موفورا	الإسراء	٦٣
٣٨٠	وهاجا	النبأ	١٣
٣٨١	ثجاجا	"	١٤
٣٨٢	واهية	الحاقة	١٦
٣٨٣	يثرب	الأحزاب	١٣
٣٨٤	الياقوت	الرحمن	٥٨
٣٨٥	يقطين	الصافات	١٤٦
٣٨٦	ينعه	الأنعام	٩٩